لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا

مِنْ خَشْيَةِ اللَّه

تاج الدين نوفل



بسم الله الرحمن الرحيم

فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ

صدق الله العظيم

دار الأمين

طبع • نشر • توزيع

الجيزة : ٨ شارع أبو المعالى
(خلف المعهد البريطانى) العجوزة
تليفون وفاكس : ٣٤٧٣٦٩١

١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق
(خلف قاعة سيد درويش) الهرم
تليفون وفاكس : ٥٦٣٤٦٩٩

ص.ب : ١٧٠٢ العتبة ١١٥١١

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

رقم الإيداع ١٩٤٤/ ١٩٩٨

ISBN 977-279-183-8

إخراج فنى : جمال فتحى أحمد



يقول تعالى:

﴿ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون، والذين هم بربهم لا يشركون، والذين يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلي ربهم راجعون، أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾[1]

ويقول جل وعلا:

﴿ لو أنزلنا هذا القرآن علي جبل لرأيته خاشعا متصدعا

من خشية الله

وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾[2]

---

(١) سورة المؤمنون الآيات ٥٧ ، ٦١ (٢) سورة الحشر الآية ٢١



الإهداء

إلـى كـل :

عين بكت من خشية الله ..

إلـى كـل :

من ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ..

إلـى كـل :

الضائعين في خضم الحياة ..

أقدم لـهـم ...

دمعتى ...

من خشية الله ...

تاج الدين نوفل



مقدمة

الكلمة الطيبة : صدقة

والكلمة الطيبة : شجرة طيبة

وأطيب الكلام : كلام الله ، ثم الكلام عن الله ، ثم الكلام فى الله ، ثم الكلام لله . .

﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً: كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾[1]

وهذا الكتاب . .

باقة من الدموع . .

أذرفتها عيناى من خشية الله . . دمعة . . . دمعة . .

فنثرتها عليك أيها القارئ الكريم . .

وردة . . وردة . .

فى حب ومودة . .

وصفاء ومحبة . .

نثرته عليك . . ليكون بين يديك . . .

خشوعاً فى قلبك . . وضياء فى عينيك . .

فهو منك وإليك . . . وهو منى إليك . .

(١) سورة إبراهيم الآيتان ٢٤ ، ٢٥ .

فاقرأه بقلبك قبل عينيك . .

فلا تقف كلماته عند شفتيك . .

بل تتجاوز شفتيك . . وتتعدى أذنيك . .

حتى يصل إليك . .

فعسى أن تكون كلماته بردا وسلاماً عليك . .

وأن ينفعك مافيه . . بما فيه . . فتعمل بما يحتوية . .

أسأل الله أن يهدينى وإياك إلى صراطه المستقيم . .

وأن يكفينى وإياك عذاب الجحيم . .

وأن يجمعنا فى جنة النعيم . .

﴿ يوم لاينفع مال ولابنون، إلا من أتي الله بقلب سليم ﴾[١].

وأصلى وأسلم على صاحب الخلق العظيم . .

الرءوف الرحيم . .

البشير النذير . .

السراج المنير . .

وأشهد أن لا إله إلا الله العلى القدير . .

ليس له نظير . .

وليس له مشير . .

وليس له وزير . .

﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[٢].

إنه ﴿ نعم المولي ونعم النصير ﴾[٣].

---

(١) سورة الشعراء الآيتان ٨٨ ، ٨٩ . (٢) سورة الشورى الآية ١١ .
(٣) سورة الأنفال الآية ٤٠ .

أما بعد:

أيها القارئ الكريم ..

فهذه رسالتى إليك . . بالحب، والصفاء، والحياء، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم، والعلم، والعبادة، والزهد، والإخلاص، والتوفيق، والدعاء، والخوف، والرجاء، والعدل، والقصاص، والتوبة، والندم، والضيق، والفرج، والرحمة، والغفران، وحسن الظن بالله، والعبرة، والعظة، وحسن الختام . .

بأسلوب جديد، وتناول جديد . .

فقد زرعت بذور الإخلاص . .

كى أجنى ثمر التوفيق . .

فخير مايصعد إلى السماء الإخلاص، وخير ماينزل منها التوفيق . .

أسأل الله . . . الهدى . .

والرضا . .

والسداد . .

﴿ إنه سميع قريب ﴾[1] مجيب

﴿ إن أريد إلا الإصلاح مااستطعت، وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾[2].

وأصلى وأسلم على الحبيب (صلى الله عليه وسلم)

تاج الدين نوفل

---

(١) سورة سبأ الآية ٥٠ .

(٢) سورة هود الآية ٨٨ .

الـفـاتـحـة

﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم ﴾[1]

قرآن كريم

---

(1) سورة الحجر الآية ٨٧



الفاتحة لمن ؟

يقولون فى معاملاتهم : الفاتحة للنبى (صلى الله عليه وسلم) وأعجب كل العجب . . عندما أسمع هذه الكلمة وأتساءل . . أى فاتحة تلك ؟ . . وما الفاتحة ؟

إن الفاتحة ثناء جميل على الله . . ودعاء جميل إلى الله . . خاصة بقارئها . . ثناء . . **﴿ الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين ﴾** ودعاء **﴿إهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين﴾** .

فما الذى فيها للنبى (صلى الله عليه وسلم) ؟ ومامعنى الفاتحة للنبى(صلى الله عليه وسلم) ؟

وأى باب نفتح على رسول الله . . . (صلى الله عليه وسلم) ؟

وكيف نفتح على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) باباً . . فتحه الله لـه منذ بعثه بالهدى ودين الحق . . بقوله تعالى : **﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبينا، ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما﴾**[1].

ومن أنت حتى تفتح ذلك الباب ؟ وعلى من تفتح . . ؟

وأى باب مغلق على رسول الله حتى يفتح ؟

(١) سورة الفتح الآيتان : ١، ٢ .

إنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الفاتح لما أغلق.. والفتح المبين.. الذى نهرع إليه نحن لأن يفتح علينا ما أغلق من أبواب.

فاحذر أخى المسلم.. المحب لرسول الله (صلى الله عليه وسلم).. أن تقول ماليس لك به علم.. أو أن تدعى أنك تفتح بالفاتحة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

كما أدعوك دعاء المحب لك.. الناصح الأمين.. ألا تدخل فى معاملاتك اسم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أجل الاتجار أو الكسب باسم الدين أو باسم رسول الحق (صلى الله عليه وسلم) ولكن إذا شئت فصل على النبى (صلى الله عليه وسلم) كما أمرنا الله تعالى فى كتابه الحكيم.

﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى.. يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾[1] هؤلاء هم عامة الناس.. أما أنصاف المثقفين.. أو عوام المثقفين.. فهم يقولون.. الفاتحة زيادة فى شرف النبى (صلى الله عليه وسلم) وليس لهذه العبارة أصل فى كتاب الله ولا سنة رسوله.

فأى شرف هذا الذى يتحدثون عنه؟

ومن الذى يمنح الشرف؟ ومن الذى يُمنح الشرف؟

أقول لهؤلاء وأولئك.. إن الله قد شرف رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) منذ بعثه بالهدى ودين الحق فى كتابه الحكيم فقال: ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[2].

فجعل سبحانه وتعالى.. الخلق العظيم.. دابة.. ومحمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) عليها.. فجعل محمداً فوق الخلق شرفاً.. ورفعة

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٦.

(٢) سورة القلم الآية ٤.

لقدره (صلى الله عليه وسلم) . . وهناك من آيات التشريف مالا يحصى عدده لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وزاده ربه تشريفاً فوق التشريف بأن دعاه بألمعيته ونورانيته (صلى الله عليه وسلم) إلى معيتة القدسية فى السموات العلا **﴿ عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة مايغشى، مازاغ البصر وماطغى، لقد رأى من آيات ربه الكبري ﴾**(1) .

فسبحان الله . .

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾(2) .

ويقول (صلى الله عليه وسلم) :-

﴿ انعكس بصرى ببصيرتى ورأيت من ليس كمثله شيء ﴾

كل هذا تشريف من الله لرسوله (صلى الله عليه وسلم) . .

فأى تشريف يتحدث عنه هؤلاء وأولئك . . ؟!

إن مثل هذه العبارات التى يطلقها البعض تحت دعوى أنها سنة حسنة، أو أنها حب لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ماهى إلا تنطع وجاهلية فلسنا أكثر حباً للنبى (صلى الله عليه وسلم) من أبى بكر وعمر وعثمان وعلى (رضى الله عنهم) .

ولسنا أكثر حباً للمعصوم (صلى الله عليه وسلم) من أصحابه الكرام .

فلو كانت هذه قربة إلى الله ورسوله لسبقونا إليها . . لأنهم ولا اختلاف على ذلك هم تمام العقيدة . . وكمال العبادة . . ولا إضافة لنا عليهم . . وهم

(1) سورة النجم الآيات ١٤ - ١٨ . (2) سورة الإسراء الآية ١ .

منبع هذا الدين ورجاله الأولون . . الذين نزل عليهم كتابه الحكيم . . وبعث فيهم رسوله الكريم، وختمت بهم رسالة السماء الكاملة . . بقول الله تعالى :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾[1].

من هنا نقول لهؤلاء وهؤلاء : . .

إن الفاتحة هى أم الكتاب والسبع المثانى . . **﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم ﴾**[2]. وهى الشافية، والعافية، والكافية، والواقية، والأساس، والحمد . .

وهى فاتحة الخير . . نستفتح بها كل أعمالنا . . فتزيده بركة وكرامة . .

ولكن نقول : الفاتحة دون أن نضيف إليها شيئاً آخر (كالفاتحه للنبى) أو (الفاتحة للسيد) أو إلى غير ذلك . . مما يضعها فى غير موضعها .

فإن الفاتحة ليس فيها لغير قارئها من شىء، فهى كما ذكرنا حمد لله . . وثناء عليه . . ودعاء يخص قارئها، بالهداية والاستقامة . . كما يجوز بها الرقية . . لقوله تعالى : **﴿ وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾**[3].

وقد ثبت أن بعض الصحابة . . رقوا بها مريضاً . . فبرئ من مرضه . . وعندما أخبروا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بهذا . . أعجب بصنيعهم وقال لهم : وماأدراكم أنها شافية ؟

كما أنها تفيد المنصت إلى سماعها إذا تليت . . بالرحمة من الله . . لقوله تعالى **﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾**[4].

---

(١) سورة المائدة الآية ٣ .
(٢) سورة الحجر الآية ٨٧ .
(٣) سورة الإسراء الآية ٨٢ .
(٤) سورة الأعراف الآية ٢٠٤ .

إلا أننا لانضعها فى مكانها إذا قرأناها على الموتى فى القبور . . لأنها كما قلنا تخص صاحبها بالإجابة ، فضلاً عن أن القرآن قد نزل للأحياء دون الأموات .

﴿إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين﴾[1] .

كما أن الميت لاينفعه إلا ماقدم مثلما ينفعه : ولده الصالح . . أو صدقته الجارية . . أو علمه الذى ينتفع به . . لحديث النبى (صلى الله عليه وسلم) :

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث:

« علم ينتفع به ، ولد صالح يدعو له ، صدقة جارية »

(شأنها شأن «حرماً»)

كما أن الناس يصافحون أنفسهم بعد كل صلاة بقولهم . . «حرماً» وهذه بدعة مستحدثة . . لم يفعلها النبى (صلى الله عليه وسلم) ولا الصحابة رضى الله عليهم . . ولو كان فيها خير ، لسبقنا إليها نبينا (صلى الله عليه وسلم) الذى كان يتحرق شوقاً لزيارة المسجد الحرام . . حتى أنه كان يرى فى منامه : أنه يدخل المسجد الحرام هو وأصحابه فيقوم (صلى الله عليه وسلم) إلى أصحابه يخبرهم بما رأى فى منامه . . فيتجهون إلى مكة فرحين مستبشرين . . وكلهم شوق إلى مسجد الله الحرام . . ولكن الكفار يمنعونهم من الدخول . . وكادت تحدث فتنة فى صفوف المسلمين .

(١) سورة يس الأيتان ٦٩ ، ٧٠ .

حتى نزلت الآية : ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لاتخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً**﴾[1] . يخبرهم الله بصدق نبيه وصدق الرؤيا . . وقد حقق الله هذه الرؤيا بعد عام . .

كل هذا الشوق وهذه الحرقه وهذا الحب من النبى (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه لزيارة البلد الأمين والمسجد الحرام والطواف بالبيت . . إلا أنه لم يقل واحد من أصحابه له حرماً بعد الصلاة ولو مواسياً . . وكانت فى هذا الموقف أولى .

(سقت عليك النبى صلى الله عليه وسلم)

وهذا التعبير غير مهذب بالمرة . . إذا علم المسلم مامعنى هذا الذى يقوله؟ ومن الذى يساق ؟ وعلى من يساق ؟

إن على المسلم أن يتأدب مع رسوله (صلى الله عليه وسلم) وأن يتهذب فى حديثه لاسيما إذا ذكر فى الحديث اسم النبى (صلى الله عليه وسلم) رسول السماء إلى الأرض . . فكيف مثلاً يسوق المتحدث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى المتحدث إليه أوعليه كما يقولون . . ؟!

إنه هنا يشبه الرسول الخاتم والنبى المرسل والعياذ بالله . . بشىء يساق . . وهذا غير لائق مع رسول الأدب . . صاحب المقام المحمود والمنزلة الرفيعة .

(١) سورة الفتح الآية ٢٧

﴿ يأأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون، إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله، أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾[1].

ويقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

« لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين ».

فقال عمر (رضى الله عنه): **« والله يارسول الله إنك لأحب إلى من والدى وولدى والناس أجمعين.. إلا نفسى التى بين جنبىّ »**.

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

« لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه التى بين جنبيه ».

فقال له عمر (رضى الله عنه):

« والله إنك لأحب إلىّ من نفسى التى بين جنبىّ ».

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **« الآن ياعمر » «أى أكتمل إيمانك»**.

سر الوصول: حب الرسول .·. فهو الطريق: إلى القبـول(*)

إجمالاً لما مضى نقول:

إنه لايحل لمسلم أياً كان: عالماً أو فيلسوفاً أو مفكراً أو عابداً أو زاهداً.. أن يضيف إلى دين الله شيئاً لم يأمر به الله ولم يأمر به رسوله (صلى الله عليه وسلم) لأنه لا إضافة بعدهما، بعد أن أكمل الله لنا دينه وأتم علينا نعمته.

(1) سورة الحجرات الآيتان ٢، ٣.

(*) من شعر المؤلف..

ومانحن غير متبعين، ولسنا مبتدعين . . ﴿ **وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾[1] وإنما ينبغى علينا أن نتأسى بهم، ونتشبه بهم . . فإذا استطعنا أن نصنع ماصنعوه . . أضفنا بعد ذلك ماتركوه !!

أما إذا أردنا أن نضيف شيئاً حقيقياً . . فليكن فى أمور دنيانا - كما قال عليه الصلاة والسلام: «ماكان من أمر دنياكم فهو لكم، وما كان من أمر دينكم فهو لى» .

وكفانا عاراً أن رايات الإسلام التى كانت تغطى الأرض من محيطها إلى خليجها انتكست . . وارتفعت رايات حمر ذوات مطرقة ومنجل . . وتأخر المسلمون الذين كانوا سادة الدنيا حضارة ومدنية . . فأصبحوا عبيد السادة والعالم الآن على ظهر القمر، وفى الكواكب الأخرى . . فينبغى علينا أن ننزه ديننا من البدع وأن ننقيه من الشوائب ونرتقى به فوق السفاسف والخزعبيلات، وأن نقيم سنته التى أهملناها . . فإنها العلاج الواقى . . الشافى . . العافى . . حتى نلحق بالركب فلا يعقل بنا أن نترك الطبيب والعلاج إلى استعمال «اللبخات البلدية» التى كم أعمت العيون، وأضلت القلوب، ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لايكونوا أمثالكم** ﴾[2] .

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٦

(٢) سورة محمد الآية ٣٨ .

الصلاة على النبى

(صلى الله عليه وسلم)

﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها
الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾[1]

قرآن كريم

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٦



فضل الصلاة على النبى (صلى الله عليه وسلم)

قال تعالى :-

﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾[1] .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

«من نسى الصلاة على فقد أخطأ طريق الجنة»

وعن كيفية الصلاة على النبى (صلى الله عليه وسلم) ماجاء عن كعب بن عجرة قلنا يارسول الله قد عرفنا التسليم عليك فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : قولوا **«اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم»** .

روى عن محمد بن المنذر أنه قال: سمعت أبى يقول: بينما سفيان الثورى يطوف إذا رأى رجلاً لايرفع قدماً ولايضع قدماً إلا وهو يصلى على النبى (صلى الله عليه وسلم)، قال فقلت: ياهذا إنك قد تركت التسبيح والتهليل وأقبلت بالصلاه على النبى (صلى الله عليه وسلم) هل عندك فى هذا شيء ؟ قال: من أنت عافاك الله ؟ فقلت: أنا سفيان الثورى قال: لو لا أنك زاهد أهل زمانك.. ما أخبرتك عن حالى ولا أطلعتك على سرى.. ثم قال لى: خرجت ووالدى حاجاً إلى بيت الله الحرام حتى إذا كنت فى بعض المنازل مرض والدى.. فقمت بشأنه حتى مات.. فاسود وجهه.. فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون.. وغطيت وجهه.. فغلبتنى عيناى فنمت حزيناً، فرأيت رجلاً لم أر أحسن منه وجهاً، ولا أنظف منه

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٦ .

ثوبا، ولا أطيب منه ريحاً، يرفع قدماً ويضع أخرى.. حتى دنا من والدى فكشف الإزار عن وجهه فمر بيده علي وجهه فابيض.. ثم ولى راجعاً فتعلقت بثوبه فقلت: ياعبد الله من أنت الذى من الله على والدى بك فى أرض الغربة ؟! قال أو ماتعرفنى ؟! أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن.. أما إن والدك كان مسرفاً على نفسه.. ولكن كان يكثر الصلاة على فلما نزل به مانزل استغاث بى وأنا غياث لمن أكثر الصلاة على فانتبهت فإذا وجه أبى قد ابيض(*).

(تاج الخيرات)

واعلم أيها المحب لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن الأعمال الصالحة والخيرات كلها والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . . وجوامع البر والإحسان . . زينتها وتاجها . . الصلاة والسلام على النبى (صلى الله عليه وسلم) .

فإذا كانت الأعمال الصالحه وجوامع الخير كلها عرائس فإن مهورهن هى الصلاة والتسليم على النبى الكريم . . صاحب الخلق العظيم . . عليه أزكى الصلاة والتسليم . . فحقه علينا عظيم، فهو منقذنا من الضلالة إلى الهدى . . ومخرجنا من الظلمات إلى النور، فلنصل عليه كلما ذكر اسمه، ولنعلم أن البخيل من سمع اسم النبى (صلى الله عليه وسلم) ولم يصل عليه .

«والحكمة»[1] من صلاة الملائكة والمؤمنين على النبى (صلى الله عليه وسلم) تشريفهم بذلك، حيث اقتدوا بالله عز وجل فى الصلاة عليه

(١) حاشية الصاوى على الجلالين ٣/ ٢٨٧ .

(*) مكاشفة القلوب للغزالى ٧/ ٤٧ .

وتعظيمه، ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق، لأنه الواسطة العظمى فى كل نعمة وصلت إليهم، وحق على من وصل له نعمة من شخص أن يكافئه، ولما كان الخلق عاجزين عن مكافأته (صلى الله عليه وسلم) طلبوا من القادر الملك أن يكافئه، وهذا هو السر فى قولهم «اللهم صل على محمد» .

(معنى الصلاة على النبى (صلى الله عليه وسلم))

واعلم أن الصلاة على النبى من الله، والملائكة، والخلق أجمعين، فيقول تعالى: ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبى، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] .

والصلاة من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره. . وهذا دليل على أن الله جل وعلا يرفع مقام نبيه ويعظم شأنه وقدره. وإن ملائكته الكرام يدعون للنبى ويستغفرون له، وهذا دليل على أنه سيد الأولين والآخرين .

ولقد صعد النبى (صلى الله عليه وسلم) المنبر فقال : . . **آمين آمين آمين**.. **ثم قال: أتانى جبريل عليه السلام فقال :**

يامحمد من أدرك أحد أبويه ثم لم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله ..

قل: آمين.. فقلت: آمين

يامحمد من أدرك شهر رمضان.. فمات.. فلم يغفر له.. فأدخل النار. فأبعده الله.

قل: آمين.. فقلت: آمين

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٦ .

يامحمد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات.. فدخل النار.. فأبعده الله.. قل: آمين.. فقلت: آمين.

(نور على الصراط)

وقد ذكر: أن رجلاً رأى صورة قبيحة فى البادية فقال: من أنت؟ قالت: أنا عملك القبيح.. قال: فما النجاة منك؟ قالت: الصلاة على النبى (صلى الله عليه وسلم) كما قال (صلى الله عليه وسلم): الصلاة على نور على الصراط.

(أعرفك الآن وأشفع لك)

وروى أن رجلاً كان غافلاً عن الصلاة على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) فرأى النبى (صلى الله عليه وسلم) ليلة فى منامه.. ولم يلتفت إليه النبى (صلى الله عليه وسلم) فقال: يارسول الله أأنت غضبان على؟ قال: لا.. قال: فلم لاتنظر إلى.. قال: لأنى لا أعرفك فقال: كيف لاتعرفنى وأنا رجل من أمتك. وقد روى العلماء: أنك أعرف بأمتك من الوالدة بولدها؟ فقال: صدقوا.. ولكنك لاتذكرنى بالصلاة.. وإن معرفتى بأمتى بقدر صلاتهم على!! ثم انتبه الرجل.. وأوجب على نفسه أن يصلى على النبى (صلى الله عليه وسلم) كل يوم مائة مرة.. ففعل ذلك ثم رآه بعد ذلك فى المنام فقال: أعرفك الآن وأشفع لك..

من هنا نعلم الجدوى التى تعود علينا من بركات الصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والفائدة التى تحل بنا . . والتى تتمثل فى النور الذى لاينقطع فى القلوب . . والبركة التى تسكن فى النفوس . . والسكينة التى تنزل على الصدور . . والمحبة التى تشمل الحواس والجوارح والأبدان . . فصلاة ربى وسلامه عليه عدد خلقه . . ورضا نفسه . . وزنة عرشة . . ومداد كلماته . .

(حب الرسول سر الوصول)

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾[1] .

وسبب نزول هذه الآية أن النبى (صلى الله عليه وسلم) لما دعا كعب بن الأشرف وأصحابه إلى الإسلام . . قالوا: نحن فى المنزلة أبناء الله . . ولنحن أشد حباً لله ، فقال الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم) قل لهم يامحمد : **﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾** .

أى : قل لهم يامحمد : إن كنتم حقا تحبون الله فاتبعونى لأنى رسوله إليكم . . يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . . أى : باتباعكم الرسول وطاعتكم لأمره يحبكم الله ، ويغفر لكم ماسلف من الذنوب .

(١) سورة آل عمران الآية ٣١ .

قال ابن كثير : «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية ، فإنه كاذب فى دعواه تلك ، حتى يتبع الشرع المحمدى ، فى جميع أقواله وأفعاله» .

ثم قال تعالى : ﴿ قل أطيعوا الله والرسول ﴾ أى أطيعوا أمر الله وأمر رسوله ، وجعل الله أمره وأمر رسوله وحدة واحدة واجبة الطاعة .

من هنا نعلم : أن اتباع الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) يرقى بصاحبه إلى محبة الله تعالى : بنص الآية . . فالمعروف أنك لو أرسلت رسالة إلى شخص ما أو جاءتك رسالة من شخص ما مع رسول . . فإن احترامك لهذه الرسالة واحترامك لهذا الرسول . . إنما هو بقدر احترامك للمرسل ذاته . . لابقدر احترام الرسالة وحاملها . . فأنت تعطى الرسالة بقدر صاحبها لابقدر حاملها . . فأنت لاتعرف حاملها . . إذن فاحترامك للرسول الذى جاءك بالرسالة . . يسعد المرسل وتقر عينه . . عندما يذهب إليه رسوله ويخبره أنه أحسن استقباله وإكرامه .

إذن فاحترام الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقدر احترام المرسل جل وعلا ، واتباع الرسول (صلى الله عليه وسلم) اتباع لله جل جلاله . . وحب النبى (صلى الله عليه وسلم) هو حب لله تبارك وتعالى

فاتباع النبى (صلى الله عليه وسلم) حب لله تعالى . . وصدق الله : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾ .

خاتمة

جاء فى الخبر عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه قال :-

«إن الله تعالى خلق ملكاً له جناح فى المشرق، وجناح في المغرب، ورأسه تحت العرش ورجلاه تحت الأرض السابعة، وعليه بعدد خلق الله تعالى ريش، فإذا صلى رجل أو امرأة من أمتى على، أمره الله تعالى بأن ينغمس فى بحر من نور تحت العرش، فينغمس فيه ثم يخرج، وينفض جناحه، فيقطر من كل ريشة قطرة، فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكاً يستغفر الله إلى يوم القيامة»(*).

(*) مكاشفة القلوب للغزالى فى فضل الصلاة على النبى (صلى الله على وسلم)



الحيـــاء

(الحياء من الإيمان) [1]

حديث شريف

---

(١) رواه ابن ماجه .



(الحياء)

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «**استحيوا من الله حق الحياء.. قالوا: يانبى الله: إنا لنستحيى من الله والحمد لله. قال (صلى الله عليه وسلم): ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء:**

أن تحفظ الرأس، وماوعى.

وتحفظ البطن وماحوى.

ولتذكر الموت والبلي.

ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك، فقد استحيا من الله حق الحياء»[1].

وقال صلوات ربى وسلامه عليه:

«**الحياء شعبة من الإيمان، ولا إيمان لمن لا حياء له**»[2].

وقال: الحياء خير كله.. ومن لاحياء فيه لاخير فيه..

وقال: إذا لم تستح فاصنع ماشئت.

وتقول عائشة (رضى الله عنها):

إذا كنا نستحيى من الناس، فالله أحق أن نستحيى منه..

ولقد عاشرت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زوجاً.. والذى بعثه بالحق ما رأى منى ولا رأيت منه.. فلقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أشد حياء من العذراء فى خدرها..

(١) رواه الترمذى.
(٢) رواه ابن حبان.

(ربع الإسلام)

يروى أن الإمام أحمد بن حنبل نزل ذات يوم إلى نهر دجلة ببغداد، وأراد التطهر من جنابة، فلم يجد معه مايستتر به فاستحيى من الله تعالى، أن ينزل إلى الماء عريانا. . فنزل بملابسه واغتسل من الجنابة ثم طهر، وخرج وملابسه مبلولة. . فلم يستطع عصرها فجلس فى أشعة الشمس ينتظر أن تجففها الشمس. . فأخذته سنة من النوم. . فرأى النبى (صلى الله عليه وسلم) فقال له :

يا أحمد كما اتبعت سنتى واستحييت أن تنزل عرياناً. . جعلتك ربع الإسلام .

وكان هذا فى ابتداء أمره، فكان من أمره ماكان رضى الله تعالى عنه وأرضاه. . وأصبح أحد أربعة أئمة ملأوا طباق الأرض علماً. . وزانوا عقول الناس فهما. . فكان بدراً ونجماً. .

(الحياء من الإيمان)

ويقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) :

«كفى بالموت واعظاً، وكفى باليقين غني»[1].

«الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار»[2].

(١) رواه الطبرانى .

(٢) رواه ابن ماجه .

وقد سئل الرسول (صلى الله عليه وسلم) من أزهد الناس يارسول الله ؟ قال : **«من لم ينس القبر والبلى، وترك فضل زينة الحياة الدنيا، وآثر مايبقى على مايفنى، ولم يعد غداً من أيامه، وعد نفسه من الموتى»**[1] .

ويقول سيد الخلق فى حديث جامع مانع :

«أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا»[2] ولاخير فى الحياة بلاحياء :

ويقول الشاعر :

إذا لم تخش عاقبة الليالى .·. ولم تستح فاصنع ماتشاء

فما والله مافى العيش خير .·. ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

(العالم والعابد)

يقولون : إنه عندما ذهب الإمام الشافعى لزيارة الإمام أحمد بن حنبل . . لاحظت عليه ابنة الإمام أحمد ثلاثة أمور . . أخبرت أباها عنها، وكانت ابنة الإمام أحمد تحب الشافعى الذى ملأ طباق الأرض علما، وكانت تسمع عنه وعن علمه الذى أصبح فى الأرض كالنجوم فى السماء . . يهتدى به الناس فى ظلمات الأرض .

وظلت فاطمة ابنة الإمام أحمد مستيقظة طوال الليل . . حتى تسمع صوت الشافعى وهو يتلو القرآن عند التهجد . . لأن الشافعى كان صوته فى التلاوة خاشعاً . . يأخذ بمجامع القلوب . . لايسمعه أحد إلا يبكى . . لما فيه من خشوع وجلال .

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا .

(٢) رواه البزار .

قامت فاطمة فى الصباح قائلة ياأبت : لقد لاحظت على الشافعى ثلاثة أمور حيرتنى :

أول هذه الأمور : أنه ظل نائماً طوال الليل ، وقام وصلى الفجر دون أن يتوضأ .

ثانيها : أنه لم يتهجد من الليل وكنت أحب سماع صوته بالقرآن وهو يصلى .

ثالثها : أنه أكل كثيراً وطعام الصالحين دائما بقدر يسير .

وعندما حضر الشافعى فى الصباح . قال الشافعى للإمام أحمد : لقد أعاننى الله : فلم أنم فى الليلة الماضية . . وصليت الفجر بوضوء العشاء . . وجزمت برأى فى أربعين مسألة اختلف فيها مالك وأبو حنيفة . . فنادى الإمام أحمد ابنته فاطمة قائلاً :

يافاطمة : والله لنوم الشافعى خير من قيام أبيك . .

وأخبر الإمام أحمد «رضى الله عنه» الإمام الشافعى . . بما قالته ابنته له . . فقال له الشافعى : أما عن كونى أكلت كثيراً . . فلقد علمت أن طعامكم من حلال ، ففضلت أن أملأ بطنى منه . .

فقال الإمام أحمد لابنته :

يافاطمة : إن أباك عابد والعابد يحيا لنفسه . . ولكن الشافعى عالم والعالم يحيا لغيره . . فقد يقوم أبوك ويتهجد فى الوقت الذى يكون فيه الشافعى مشغولاً بأمور المسلمين وقضاياهم .

فإن الاجتهاد فى مسألة من مسائل الدين . . خير من عبادة ستين عاماً . . وإن مداد العلماء يوزن يوم القيامة بدم الشهداء

والله يقول يوم القيامة للعابدين : ادخلوا جنتى ولكنه يقول للعلماء : قفوا واشفعوا . .

وكانت وصية لقمان لابنه : «يابنى زاحم العلماء بركبتين . . ولاتفارقهم طرفة عين ، فإن رحمة الله لاتفارقهم» وفضل العالم عن العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء» .



الوفـــاء

(الوفاء من الإيمان)

حديث شريف



(ثمرة الوفاء)

الوفاء من الإيمان . .

ومن لا وفاء له . . لا إيمان له . .

إنه خلق كريم . . ودليل على الخلق الحسن . .

وقد مدح الله خليله إبراهيم فقال : ﴿ وإبراهيم الذي وفي ﴾ .

ويقول الإمام الشافعي (رضى الله عنه) :

دع الأيـــام تفعــل ماتشـــاء ∴ وطـــب نفســـاً إذا حكم القضاء

ولاتجـــزع لحادثـــة الليـالي ∴ فمـا لحــوادث الدنيـا بقـــاء

وكن رجـــلاً علي الأهــوال جلدا ∴ وشيمتـــك السماحـــة والوفـاء

وإن كثرت عيوبـــك في البرايا ∴ وســـرك أن يكون لها غطـــاء

تســـتر بالسخـــاء فكل عـــيب ∴ يغطيـــه كمـا قيـل السخـــاء

ولاتـــرج الســماحة من بخيـل ∴ فمـــا في النار للظمـــآن مـــاء

ورزقـــك ليس ينقصـــه التأني ∴ وليــس يزيـــد في الرزق العناء

ولاحـــزن يـــدوم ولاســـرور ∴ ولابـــؤس عليـــك ولارخـــاء

إذا ماكنـــت ذا قلـــب قنـــوع ∴ فأنـــت ومـــالك الدنيـــا ســواء

ومن نزلت بساحتـــه المنايـــا ∴ فــــلا أرض تقيــه ولاســــماء

وأرض اللـــه واســـعة ولكـــن ∴ إذا نزل القضـــا .. ضاق الفضاء

فما أعظم الوفاء فى الحياة . . وأبقاه لصاحبه .

وأول الوفاء : ماكان دينا فى رقبة صاحبه .

فالدين حق من حقوق العباد فى رقبة المستدين ، وهو جزء من عرقهم وكدهم ووقتهم أو ما أنعم الله به عليهم من نعم . . فمن استحل هذا وأخذه دون أن يؤديه . . فقد استحل قطعة من النار . . وسوف يؤديه فى الآخرة ، إن لم يؤده فى الدنيا . . لحديث النبى (صلى الله عليه وسلم) :

من أدان دينا ، وهو ينوى أن يؤديه ، ومات . . أداه الله عنه يوم القيامة ، ومن استدان دينا ، وهو لاينوى أن يؤديه فمات . . قال الله عز وجل له يوم القيامة : ظننت أنى لا آخذ لعبدى بحقه ، فيؤخذ من حسناته ، فيجعل فى حسنات الآخر ، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات الآخر فيجعل عليه .

وإذا فنيت حسناته وألقيت عليه سيئات صاحبه ، فما يكون مصيره إذن ، إن مصيره إذن إلى النار ، لأنه أخذ ماليس له بحق وتمتع بشقاء غيره ، وسعد على حساب الآخرين .

ويقول الرسول الخاتم (صلى الله عليه وسلم) :

*** روح المؤمن محبوسة عن الجنة لحين أداء دينه.**

*** من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله[1] .**

*** صاحب الدين مأسور بدينه يشكو إلى الله الوحدة[2] .**

(1) رواه البخارى .　　(2) رواه الطبرانى .

*** إن الدين يقتص من صاحبه يوم القيامة إذا مات إلا من تداين فى ثلاث خلال :**

(١) الرجل تضعف قوته فى سبيل الله فيستدين يتقوى به علي عدو الله وعدوه .

(٢) الرجل يموت عنده مسلم لايجد بما يكفنه ويواريه إلا بدين .

(٣) رجل خاف على نفسه العزبة (أي أن يظل عازبا بلازواج) فينكح خشية على دينه، فإن الله يقضى عن هؤلاء يوم القيامة[١] .

فهؤلاء . . لاشك أنهم إذا استدانوا . . فبشرف ونبل . . مادام فى نياتهم أداء هذا الدين عندما يرزقهم الله من فضله .

وهؤلاء ينطبق عليهم قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

إن الله مع الدائن حتى يقضى دينه، مالم يكن فيما يكرهه الله .

(الإسلام دين الوفاء)

﴿ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾[٢].

إن الإسلام يحافظ على حقوق الناس محافظة كبيرة ويحيطها بسياج من فولاذ حتى لايتعدى متعد عليها . . فيعم الأمن وتنتشر السكينة فى ربوع الأرض .

(١) رواه ابن ماجه .

(١) سورة البقرة الآية ١٨٨ .

إن الوفاء يرفع البلاء وينفع الأبناء . . إذا ما اهتم به الآباء . . وكانوا أوفياء مع الناس . . فى الأخذ والعطاء . . والشدة والرخاء . . وفى البأساء والضراء . .

وقد بلغ من حرص الإسلام على الوفاء مثلاً بالدين . . أن جعل الدين قرين الكفر . . لحديث النبى (صلى الله عليه وسلم) :

أعوذ بالله من الكفر والدين ، فقال رجل : **يارسول الله ، أتعدل الكفر بالدين ؟ قال : نعم**[1] . ! !

كما حبس روح المؤمن عن الجنة . . إذا كان عليه دين حتى ولو مات شهيداً .

(عليه دين)

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) لايصلى على ميت إذا علم أن عليه دينا .

قال سيدنا جابر (رضى الله عنه) :

«توفى رجل ، فغسلناه ، وكفناه ، وحنطناه ، ثم أتينا به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليصلى عليه ، فقلنا :

تصلى عليه يارسول الله ؟

فخطا خطوة ، ثم قال : **أعليه دين ؟**

قلنا : ديناران ، فانصرف ، فتحملها أبو قتادة ، فأتيناه ، فقال أبو قتادة :

---

(١) رواه النسائى والحاكم .

الديناران على، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

قد أدى الله حق الغريم وبرئ منه الميت .

فصلى عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم قال بعد ذلك بيومين :

مافعل الديناران ؟

قلت : إنما مات أمس .

قال : فعاد إليه من الغد ؟

فقال : قد قضيتهما، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

الآن بردت جلدته.. أى رفع عنه العذاب[1] .

(صلوا على صاحبكم)

وروى عن الإمام على (كرم الله وجهه) قال :

كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : إذا أتى بالجنازة لم يسأل عن شيء من عمل الرجل، ويسأل عن دينه، فإن قيل عليه دين كف عن الصلاة عليه، وإن قيل ليس عليه دين صلى عليه

فأتى بجنازة، فلما قام ليكبر سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هل على صاحبكم دين ؟

قالوا : ديناران، فعدل عنه «أى ترك الصلاة عليه» . .

وقال : صلوا على صاحبكم.

---

(١) رواه أحمد .

فقال على بن أبى طالب (رضى الله عنه): هما على يارسول الله برئ منهما . .

فتقدم النبى (صلى الله عليه وسلم) فصلى عليه، ثم قال لعلى بن أبى طالب: جزاك الله خيراً . . فك الله رهانك كما فككت رهان أخيك . .

إنه ليس ميت يموت وعليه دين . . إلا وهو مرتهن بدينه، ومن فك رهان ميت: فك الله رهانه يوم القيامة، فقال بعضهم: هذا لعلى خاصة أم للمسلمين عامة ؟

قال: بل للمسلمين عامة[1].

(بين حى وميت)

وقد ورد: أن رجلين تواعدا وتعاهدا . . إن مات أحدهما قبل الآخر . . أن يأتى صاحبه فى المنام يخبره بما حدث له بعد الموت . . وماهى الحال وماهو الحساب . . إلى آخر هذه الغيبيات . .

وعندما مات أحدهما . . ظل الآخر ينتظر صاحبه أن يأتيه فى المنام . . شهراً وشهرين وثلاثة . . فلم يأت .

وبعد عام تقريباً . . جاءه فى المنام . .

فقال له: أهكذا يكون العهد والوعد ؟ ألم نتعاهد على ذلك ؟

فقال له: لم أنته من حساب الله إلا الآن بعد عام . .

ولولا رحمة ربى لكنت من الهالكين .

(١) رواه الدار قطنى .

فقال له : كيف يكون خروج الروح ؟ كيف الموت ؟

قال له : لايعرفه إلا من ذاقه .

فقال له : هل تعرفون عنا شيئاً ؟

قال له : من نجا منا عرف عنكم كل شيء . .

(*) وإنى أعرف كل شيء الآن . . وخذ هذه الثلاث واذهب إلى بيتى . .

فلقد كانت فى بيتنا «قطة» ماتت بين السرير والحائط . . فساءت العلاقة بين أهل بيتى والجيران . . ظنا من أهل بيتى أن القطة إنما أخذها الجيران . . والقطة ميتة بين الحائط والسرير .

(*) وكنت قد اقترضت ثلاثة دراهم من جارى قبل أن أموت . . ولم أنفقها وهى فى مكانها خلف الطاقة . . فاذهب بها إليه . . فإن روحى محبوسة عن الجنة لحين أدائها .

(*) إن لى بنتاً مريضة بالحمى . . وستموت بعد ثلاثة أيام قبل غروب شمس اليوم الثالث . . وأنا فى انتظارها على باب الجنة يوم السبت العصر . . فاذهب إليهم لتخفف عنهم وتواسيهم .

وأستأذنك لأن الزمن المحدد لى قد انتهى .

وعندما أذن الفجر قام الرجل وصلى مع أهل بيته . . وعندما أشرقت الشمس اصطحب أهله إلى بيت صاحبه . . وعندما جلسوا . .

حكوا لهم عن مشكلة الجيران والقطة .

فقال لهم : ابحثوا ابحثوا . .

فشدوا السرير ، فقالوا : هذه القطة وقد سقطت ناشفة فقال : الله أكبر . . الله أكبر . . الله أكبر . . ثم صالح الجيران عليهم !!

ثم ذهب إلى مكان الدراهم الثلاثة فوجدها كما أخبره صاحبه . . فأخذها ونادى على جاره وأعطاها إياه .

فقال له الرجل : إننى لا أريدها . . ولقد سامحته فيها .

فقال له : هذه هى الدراهم كما هى . .

فقال : ما إن أخذها منى حتى سمعت بوفاته .

فقال له : لقد كانت روحه محبوسة عن الجنة لحين أدائها ! !

ثم بعد ذلك . .

حكوا له عن بنتهم المريضة بالحمى . .

فظل الرجل يواسى المرأة . . ويشفق عليها وقد أراد أن يتدرج معها شيئاً فشيئاً . . حتى لاتصدم فى ابنتها بعد موت زوجها . .

وبعد يومين . .

وفى اليوم الثالث . . الذى أخبره أبوها عنه .

ذهب ليواسيهم ويخفف عنهم . . وقد بالغ فى مواساته . .

فقالت له :

جئت مواسياً أم جئت معزياً ؟ !

ثم صعدت روحها إلى بارئها . . فى الموعد الذى حدده أبوها . .

فقال لها :

والله ما أخبرنى بهذا كله إلا أبوها ! !

وأبوها فى انتظارها على باب الجنة الآن ! !

(أعظم هدية تقدم للميت)

هذه ثلاثة دراهم . .

حجبت مؤمناً صالحاً عن دخول الجنة . . وكان لم ينفقها بعد، وكان قد اقترضها لحاجة فما بالنا بمن يقترضون لغير حاجة، وما بالنا بمن يقترضون للهو والعبث والفجور . . فلنعلم أن الدين خوف بعد طمأنينة . . وفزع بعد سكينة . . لحديث النبي (صلى الله عليه وسلم) :

لاتخيفوا أنفسكم بعد أمنها: قالوا: وماذاك يارسول الله[1]؟

قال :الدين

والرسول الخاتم (صلى الله عليه وسلم) يقول مبشراً أمته خير أمة أخرجت للناس: «من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنة: الغلول، والدين، والكبر.. والغلول أى: الخيانة[2].

ولهذا فإن أعظم هدية يقدمها حي إلى ميت هي أداء دينه . .

(وفاء وإخلاص)

ومن أجمل صور الوفاء التي تهتز لها المشاعر وتقشعر لها النفوس، ماجاء بلسما وشفاء وهدى . . عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

ذكر رجلاً من بني إسرائيل أراد أن يقترض ألف دينار . . فذهب إلى رجل يسأله أن يقرضه هذا المال .

---

(١) رواه أحمد . (٢) رواه الترمذي .

فقال له الرجل :

ائتنى . . بشهود . . أشهدهم على هذا الدين !!

فقال الرجل : كفى بالله شهيداً !!

فقال له : ائتنى بكفيل . . يضمن لى هذا المال !!

فقال له : كفى بالله كفيلاً !!!

فقال : صدقت

وأعطاه الألف دينار . . إلى أجل مسمى بينهما .

فخرج الرجل وكان من قرية مجاورة . . وكان بينهما بحر . . وذهب الرجل وقضى حاجته .

وعندما حل الأجل . . وجاء موعد دفع الدين . . وكان الجو عاصفاً . . وكانت الريح صراً . . .

وقف الرجل على الشاطىء الآخر ينتظر مركباً تقله إلى البلد التى عليه الدين فيها .

لكنه لم يجد وظل هكذا مدة دون جدوى . .

فوجد فى الماء خشبة عائمة على سطح البحر فأخذها ونقر فيها فجوة ووضع فيها الألف دينار ورسالة إلى صاحبه ، ثم أصلح الخشبة وألقى بها فى البحر وهو يقول :

اللهم إنك تعلم أنى تسلفت فلاناً ألف دينار . . فسألنى شهيداً فقلت : كفى بالله شهيداً . . ثم سألنى كفيلا فقلت : كفى بالله كفيلا . . فرضى بك شهيداً وكفيلاً . . ولقد تعبت فلم أجد مركبا لأذهب به إليه .

وإنى استودعك على هذا المال . . ياخير من لاتضيع لديه الودائع . . وألقى بالخشبة فى البحر حتى سبحت فيه .

وعلى الشاطىء الآخر كان يجلس صاحب المال ينتظر عل مركبا قادمة له بماله وظل ينتظر فترة فلم يجد شيئاً . . وقد تمكن البرد منه . . فآثر العودة إلى بيته لتلبد الجو بالغيوم . . فرأى خشبة عائمة على الماء . . فأخذها يستدفىء بها من برد الشتاء .

فلما قطعها ليضعها فى الموقد . . وجد بها صحيفة ووجد الألف دينار

وبعد قليل قدم الرجل الذى عليه الدين . . ومعه ألف دينار أخرى وقال له : والله لقد جهدت فى طلب مركب لآتيك فما وجدت مركبا إلا الآن فقط .

فقال له : هل بعثت إلى بشىء ؟

قال له : أخبرتك أننى لم أجد مركبا قبل هذا الذى جئتك فيه .

قال : فإن الله قد أدى عنك الذى استودعته إياه . .

ووصلتنى الأمانة فى الخشبة التى أرسلتها .

فانصرف بالألف دينار راشدا[١] .

هذه آية من آيات الوفاء، وصورة من صوره، وقيمة من قيمه، التى لو تحلى بها المسلمون ماكان فيهم جائع ولاعار . . ولأصبحوا الأمة الأولى حضارة ومدنية . . كما كانوا من قبل .

---

(١) رواه البخارى .

(بين يدى الله)

وعن عبد الرحمن بن أبى بكر (رضى الله عنهما) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: يدعو الله بصاحب الدين يوم القيامة حتى يوقف بين يديه، فيقال: ياابن آدم :

فيم أخذت هذا الدين، وفيم ضيعت حقوق الناس ؟

فيقول: يارب: إنك تعلم أنى أخذته، فلم آكل، ولم أشرب، ولم ألبس، ولم أضيع، ولكن أتى على إما حرق وإما سرق وإما وضيعة.

فيقول الله: صدق عبدى، أنا أحق من قضى عنك، فيدعو الله بشيء فيضعه فى كفة ميزانه، فترجح حسناتة على سيئاته، فيدخل الجنة بفضل رحمته[1].

(عش حراً)

ولقد جاء رجل إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقال: أوصنى يارسول الله

قال له الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

«أقل من الذنوب: يهن عليك الموت»

«وأقل من الدين: تعش حراً»[2].

---

(١) رواه أحمد والطبرانى والبزار .

(٢) رواه البيهقى .

(راية الله فى الأرض)

وعن ابن عمر (رضى الله عنه) عن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال: الدين راية الله فى الأرض، فإذا أراد الله أن يذل عبداً وضعه فى عنقه[1].

(من أراد السداد سدد الله عنه)
(والنية خير من العمل)

إن نية المرء خير من عمله، وإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرء مانوى

فإذا مات المرء المدين وفى نيته أداء ماعليه . . فإن الله تعالى يؤدى عنه . . وإن كان غير صادق فى نيته . . فإنه يؤاخذ على هذا .

فعن أبى أمامة (رضى الله عنه) قال :

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : «من تداين بدين وفى نفسه وفاؤه ثم مات: تجاوز الله عنه، وأرضى غريمه بماشاء» .

ومن تداين بدين وليس فى نفسه وفاؤه ثم مات: اقتص الله عز وجل لغريمه يوم القيامة»[2] .

وقوله (صلى الله عليه وسلم):

من أدان دينا وهو ينوى أن يؤديه ومات: أداه الله عنه يوم القيامة.. ومن استدان بدين وهو لاينوى أن يؤديه فمات، قال الله عز وجل له يوم القيامة: ظننت أنى لا آخذ لعبدى بحقه، فيؤخذ من حسناته فيجعل فى حسنات الآخر، فإن لم يكن له حسنات: أخذ من سيئات الآخر فيجعل عليه[3] .

(١)، (٢) رواه الحاكم . (٣) رواه الطبرانى .

وعن عائشة (رضى الله عنها) قالت :

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

«من حمل من أمتى دينا ثم جهد فى قضائه، ثم مات قبل أن يقضيه: فأنا وليه»[1].

صلى الله عليك ياحبيبى يارسول الله . . وصدق الله العظيم : ﴿ **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾[2] .

(جزاء عدم الوفاء)

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

«أيما رجل تداين دينا ، وهو مجمع أن لايوافيه إياه: لقى الله سارقا»[3] .

«أيما رجل تزوج امرأة ينوى أن لايعطيها من صداقها شيئاً: مات يوم يموت وهو زان، وأيما رجل اشترى من رجل بيعاً وينوى أن لايعطيه من ثمنه شيئاً: مات يوم يموت وهو خائن، والخائن فى النار»[4] .

(تذكرة)

قد كان النبى (صلى الله عليه وسلم) يمتنع عن الصلاة على المديون، فلما فتح الله عليه البلاد وكثرت الأموال، صلى على من مات مديونا، وقضى عنه . . وقال فى حديثه :

---

(1) رواه أحمد .

(2) سورة الأحزاب الآية ٦ .

(3) رواه ابن ماجه والبيهقى .

(4) رواه الطبرانى .

«أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء: فعلينا قضاؤه، ومن ترك مالاً: فلورثته»[1] .

ومن هنا يتبين لنا ثلاثة أمور :

(*) أن من مات مديناً: استحق أن يقضى عنه من بيت مال المسلمين .

(*) ويؤخذ من سهم الغارمين أحد مصارف الزكاة .

(*) أن حق الدائن لايسقط بالموت .

(دعاء قضاء الديون)

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبى (صلى الله عليه وسلم) تحمل أدعية مأثورة لقضاء الديون .

فعن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) قال :

دخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة جالساً فيه، فقال :

يا أبا أمامة مالى أراك جالساً فى المسجد فى غير وقت صلاة ؟

قال: هموم لزمتنى وديون يارسول الله.. قال :

أفلا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله عز وجل همك، وقضى عنك دينك ؟

فقال: بلى يارسول الله ؟

قال: قل إذا أصبحت، وإذا أمسيت :

---

(١) رواه البخارى .

«اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من البخل والجبن، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»

قال: فقلت ذلك، فأذهب الله عز وجل همى وقضى ديني[1] .

(اللهم مالك الملك)

وعن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لمعاذ: **ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك مثل جبل أحد ديناً لأداه الله عنك ؟**

قل يامعاذ: اللهم مالك الملك، تؤتى الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطيهما من تشاء، وتمنع منهما من تشاء ارحمنى رحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك[2] .

(مجيب دعوة المضطرين)

وعن عائشة (رضى الله عنها) قالت :

دخل على أبو بكر، فقال سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دعاء علمنيه . . قلت: ماهو ؟ قال :

كان عيسى ابن مريم يعلم أصحابه . . قال :

لو كان على أحدكم جبل ذهب ديناً . . فدعا الله بذلك . . لقضاه الله عنه :

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الطبرانى .

اللهم فارج الهم، وكاشف الغم، ومجيب دعوة المضطرين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، أنت ترحمنى، فارحمنى برحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك . .

قال أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) :

وكانت على بقية من الدين، وكنت للدين كارها، فكنت أدعو الله بذلك، فأتانى الله بفائدة، فقضى عنى دينى .

قالت عائشة :

كان لأسماء بنت عميس (رضى الله عنها) على دينار، وثلاثة دراهم، وكانت تدخل على فاستحيى أن أنظر فى وجهها. لأنى لا أجد ما أقضيها. . فكنت أدعو بذلك الدعاء، فما لبثت إلا يسيرا حتى رزقنى الله رزقاً، ماهو بصدقة تصدق بها على، ولاميراث ورثته .

فقضاه الله عنى، وقسمت فى أهلى قسماً حسنا، وحليت ابنة عبد الرحمن بثلاث أوراق من ورق «أي: من فضة» وفضل لنا فضل حسن[1] .

(خاتمة)

(خذ بيد أخيك إلى الجنة)

﴿فضل الله يؤتيه من يشاء﴾[2] .

﴿قل بفضل الله وبرحمته﴾[3] .

﴿ورحمتى وسعت كل شيء﴾[4] .

(١) رواه الحاكم .

(٢) سورة الحديد الآية ٢١ .

(٣) سورة يونس الآية ٥٨ .

(٤) سورة الأعراف الآية ١٥٦ .

وإذا أراد الله فلا راد لما أراد .

فإن وجد الله : أن نية العبد فى الدنيا كانت أداء هذا الذى عليه . . لكنه لم يستطع . . أدى الله عنه . فإذا قام صاحب الحق يوم القيامة يطلب الحق من صاحبه .

قال الله لصاحب الحق : انظر إلى أعلى !!

فينظر إلى أعلى . . فيرى مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . . يرى قصراً مشيداً لبناته من ذهب وفضة . . وقد حف بالياقوت والمرجان . . تجرى من تحته الأنهار ، ورأى به حوراء حسناء قاصرة الطرف . . لم ير أجمل منها فى حياته .

فيقول مندهشاً . . لمن هذا القصر يارب العالمين . . لأى نبى هذا . . لأى صديق هذا . . لأى شهيد هذا؟!

فيقول الله تعالى :

هذا القصر لعبد عفا عن أخيه . .

فيقول : عفوت عن أخى يارب العالمين . .

فيقول تعالى : خذ بيد أخيك إلى الجنة .

أى رحمة هذه !! أى عفو هذا !! هذا كرم ورحمة من الله تعالى لمن أراد الوفاء . . وقد صدقت نيته لكنه لم يتيسر له .

الخوف والرجاء

﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾[1]

قرآن كريم

(١) سورة الرحمن الآية ٤٦ .

(الخوف من الله)

يقول تعالى :

﴿ **إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير** ﴾[1] .

﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾[2] .

﴿ **وخافون إن كنتم مؤمنين** ﴾[3] .

﴿ **سيذكر من يخشى** ﴾[4] .

وقال الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) : إذا اقشعر جسد العبد من مخافة الله عز وجل تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها . .

يروى أن رجلاً . . كان يسكن بجوار أرملة جميلة ثرية . . وقد زينها الشيطان له . . فعزم على اغتصابها . . وأعد العدة وفى منتصف الليل . . وبعد أن نام الناس تسلل إلى بيتها . . وأغلق الأبواب . . وأخذ يتجول فى الحجرات فوقعت عينه على طعام شهى ومأكولات من شتى الألوان فمد يده ليأكل . . فتذكر أن هذا طعام لايحل له . . فقال :

لا والله لا آكل حراماً . . .

ثم نظر عن يمينه فرأى مالاً كثيراً . . فمد يده ولكنه مالبث أن رفعها وقال :

---

(١) سورة تبارك الآية ١٢ .

(٢) سورة الرحمن الآية ٤٦ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٧٥ .

(٤) سورة الأعلى الآية ١٠ .

لا والله لا أسرق أبداً . .

ثم تسلل إلى حجرة المرأة وهى نائمة . . وقد هم باغتصابها . . لولا أن سرى فى الليل نداء الحق معلناً . . ميلاد يوم جديد . . الله أكبر . . الله أكبر . . فتجمد الرجل مكانه وقد انتابته قشعريرة الخوف من الله . . فرفع يديه وقال :

يارب إن نفسى تكره الحرام . .

اللهم اجعل هذه المرأة الجميلة . . وهذا المال . . وهذا الطعام . . من نصيبى فى الحلال ياذا الجلال . . اللهم اغننى بحلالك عن حرامك .

ثم انصرف لصلاة الفجر خلف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وكانت المرأة قد سمعت أصواتا وأحست بوقع أقدام فى بيتها . . فانكمشت فى فراشها فزعا ورعبا .

وما إن سمعت الأذان وتنفس الصبح حتى قامت من فراشها . . وأسرعت بالوضوء وذهبت للصلاة خلف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وبعد أن فرغت الصلاة . . ذهبت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقالت له :

يارسول الله : أنا أرملة مرغوبة . . وحال النساء دائماً إلى الضعف . . وأنا فى بيتى وحدى . . ولقد سمعت الليلة الماضية وقع أقدام فى بيتى . . وأنا أخشى على نفسى وأريد زوجاً يحمينى .

وببصيرة النبوة وشفافيتها . . نظر الرسول الخاتم (صلى الله عليه وسلم) حوله :

واختار هذا الرجل من بين الرجال . .

وزوجها منه . .

وقد استجاب الله دعاءه . .

واغناه بحلاله عن حرامه . .

وبفضله عمن سواه . .

فاطعمه وكساه . .

وحصنه وهداه . .

وأغناه . .

(ثمرة الخوف من الله)

نعم : من ترك شيئاً فى الحرام مخافة الله . . ناله فى الحلال بفضل الله . . ومن خاف الله فى الدنيا . . أمنه يوم القيامة .

يقول الله سبحانه وتعالى :

وعزتى : لا أجمع على عبدى خوفين ، ولا أجمع له أمنين . . إن أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة ، وإن خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة .

ومن ندم على دنيا فاتته . . فقد اقترب من النار مسيرة ألف عام . .

ومن ندم على أخرى فاتته . . فقد اقترب من الجنة مسيرة ألف عام . .

ومن أذنب ذنبا وهو يضحك . . دخل النار وهو يبكى .

ومن ضحك لشبابه . . بكى لهرمه .

(خوف ورجاء)

ولقد عاد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مريضاً وهو يحتضر فقال له الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

كيف تجدك . . أي : كيف حالك ؟

قال :

أرجو الله يارسول الله وأخاف ذنوبى .

فقال له الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

لايجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن، إلا أعطاه الله مايرجو وآمنه مما يخاف.

نعم : إن الخوف والرجاء . . إذا اجتمعا . . أخذا بيد صاحبهما إلى رضوان الله . . فهما جناحا الفلاح والصلاح فى الدنيا والآخرة .

(خوف أمير المؤمنين)

ولما طعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وحانت ساعته . . وكان دمه يسيل . . وقد جاءوه باللبن . . فإذا شرب خرج اللبن مع الدم الذى ينزف منه .

ولما سقط على الأرض من أثر الطعنة جاء ابنه عبد الله بن عمر بحجر وضعه تحت رأس أبيه يسنده به .

فلما أفاق عمر (رضى الله عنه) ووجد تحت رأسه حجراً . . قال لابنه :

ويلك ضع خدى على الأرض لا أم لك . . وويلى وأى ويلى إن لم يرحمنى ربى . . ضع رأسى على الأرض واجعل خدى على التراب . . فلعل الله ينظر إلى وأنا فى هذه الذلة فيغفر لى .

فقال له ابن عباس :

ماهذا الخوف يا أمير المؤمنين . . وقد فتح الله بك الفتوح . . ومصر بك الأمصار . . وفعل بك وفعل ؟!

فقال عمر :

وددت أن أنجو لا لى ولا على !!

فقالوا له :

يا أمير المؤمنين . . إن الله قد أعد لك من الثواب ماتعجز عن وصفه الألسن ولا تدركه العقول . . فلقد فتحت البلاد ومصرت الأمصار وانتشر الإسلام على يديك . . فقال لهم (رضى الله عنه) :

إن المغرور من غررتموه !!

خذوا فتوحاتى كلها . . وخذوا أعمالى كلها . . وأعطونى ليلة من ليالى أبى بكر ويوماً من أيامه !!

فقالوا له :

وما تلك الليلة . . وماهذا اليوم ؟!

قال لهم : أما الليلة . . إذ هما فى الغار . . إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا .

وأما اليوم : يوم الردة . . يوم أن وقف فى وجه المرتدين .

ثم يبكى عمر ويقول :

ياليتنى شعرة فى صدر أبى بكر . .

ياليتى شعرة فى صدر أبى بكر . .

ليت أمى لم تلدنى !!

ليتنى لم أك شيئاً !!

هذا عمر بن الخطاب الذى قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لو أن نبيا بعدى لكان عمر ، لو نزل عذاب من السماء مانجا إلا عمر ، الشيطان يفر منك ياعمر ، الحق على قلب عمر ولسانه ، هذا العملاق كان يرتعد من الخوف : إذا سمع آية من القرآن . . وأخذ يوماً «تبنة» فقال : ليتنى كنت تبنة ولم أك شيئاً مذكورا ، ياليتنى لم تلدنى أمى ، ويبكى كثيراً حتى تتورم عيناه . . وقد كان فى وجهه خطان أسودان من الدمع .

(وانذر عشيرتك الاقربين)

وعندما نزل على الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) قوله تعالى : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[1] .

قام . . فقال :

يامعشر قريش اشتروا أنفسكم من الله . . لا أغنى عنكم من الله شيئاً .

يابنى عبد مناف . . لا أغنى عنكم من الله شيئاً . .

ياعباس عم رسول الله . . لا أغنى عنك من الله شيئاً . .

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٤ .

ياصفية عمة رسول الله . . لا أغنى عنك من الله شيئاً . .

يافاطمة بنت محمد . . سلينى من مالى ماشئت . . لا أغنى عنك من الله شيئاً . .

وعن عائشة (رضى الله عنها) : أنها سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن معنى الآية الكريمة :

﴿ والذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾[1] .

فقال لها الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

الرجل يصلى ويصوم ويتصدق ويخاف أن لايتقبل منه .

واعلم أخى فى الله !!

واعلمى أختى فى الله !!

أن من المسلمين يوم القيامة يوم الحسرة والندامة . . سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله . .

(١) إمام عادل . .

(٢) شاب نشأ فى عبادة الله . .

(٣) رجل قلبه معلق بالمساجد . .

(٤) رجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه . .

(٥) رجل دعته امرأه ذات منصب وجمال : فقال : إنى أخاف الله رب العالمين . .

(٦) رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه . .

(٧) رجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه . .[2] .

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٦٠ . (٢) رواه البخارى ومسلم .

(دموع الخوف من الله)

إن دموع الخوف من الله التى يذرفها العبد من خشية مولاه . . هى نور له يوم القيامة . . فاحذر يا أخى الباكى من خشية الله ، واحذرى ياأختى الباكية من خشية الله . . أن تمسحى دموعك بمنديلك أو فى ثيابك . . لابل نمسحها بوجوهنا . . ونجعل ماء هذه الدموع الطاهرة عطراً لنا وإذا استطعنا أن نجعل هذه الدموع تصل إلى كل مكان فى جوارحنا كان خيراً . . فإن النار قد حرمت على كل مكان تصله هذه الدموع . . دموع الخوف من الحق سبحانه وتعالى التى تخرج من الإنسان و هو فى خلوة أى ليس معه أحد من الناس . . حتى تكون لله خالصة ، لاشبهـ فيها ولارياء . . ولهذا قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

ورجل ذكر الله خاليا . . أى : بعيداً عن الناس ففاضت عيناه . .

والحديث يقول :

عينان لاتمسهما النار :

(*) عين بكت من خشية الله . .

(*) عين باتت تحرس فى سبيل الله . .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

كل عين باكية يوم القيامة إلا :

(*) عينا غضت عن محارم الله . .

(*) وعينا سهرت فى سبيل الله . .

(*) وعينا يخرج منها «أى : من الدمع» مثل رأس الذباب من خشية الله .

ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص :

لدمعة فى سبيل الله «من خشية الله» أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار .

وقال عون بن عبد الله :

بلغنى : أنه لاتصيب دموع الإنسان من خشية الله . . مكانا من جسده . . إلا حرم الله ذلك المكان على النار .

وقد كان للرسول (صلى الله عليه وسلم) أزيز كأزيز المرجل من البكاء . . تسمع ذلك عند صدره الشريف (صلى الله عليه وسلم) .

أى : فوران وغليان كغليان القدر على النار .

وهو الذى كان يستغفر الله ويتوب إليه فى اليوم مائة مرة . .

وهو الذى غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر .

ورغم هذا . . كان يقوم من الليل حتى تتورم قدماه .

وكان يقول صلوات الله وسلامه عليه . .

«هل تسمعون ماأسمع . . أطت السماء وحق لها أن تئط ، والذى نفسى بيده مافيها موضع أربع أصابع إلا وملك ساجد لله تعالى أو قائم أو راكع . . ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، ولخرجتم إلى الجبال . . تجأرون إلى الله تعالى خوفاً من عظيم سطوته ، وشدة انتقامه . . لاتدرون تنجون أولا تنجون» .

ياخفى الألطاف . .

نجنا مما نخاف . .

(علامات الخوف من الله)

وماهى علامات الخوف من الله :

يقول الفقيه أبو الليث :

١- اللسان . . فيمنعه من : الكذب ، والغيبة ، النميمة ، والبهتان ، وكلام الفضول ، ويجعله مشغولا بذكر الله تعالى ، وتلاوة القرآن ، ومذاكرة العلم .

٢- القلب . . فيخرج منه : العداوة ، والحسد . . لأن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

فالحسد من أعظم الأمراض فى القلوب . . ولا دواء لها إلا بالعلم والعمل .

٣- النظر . . فلا ينظر إلى الحرام من المأكل ، والمشرب ، والملبس ، وغيرها . . ولاينظر إلى الدنيا بالرغبة . . بل يكون نظره على وجه الاعتبار .

ولاينظر إلى مالا يحل له . . كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : من ملأ عينه من الحرام . . ملأ الله تعالى يوم القيامة عينه من النار .

٤- البطن . . فلا يدخل بطنه حراماً . . فإنه إثم كبير . . كما قال صلوات الله وسلامه عليه :

إذا وقعت لقمة من الحرام فى بطن ابن آدم . . لعنه كل ملك فى الأرض والسماء مادامت تلك اللقمة فى بطنه . . وإن مات على تلك الحالة . . فمأواه جهنم . . لحديث النبى (صلى الله عليه وسلم) : كل جسم نبت من حرام . . فالنار أولى به .

٥- اليد . . فلا يمد يده إلى الحرام . . بل يمدها إلى مافيه طاعة الله تعالى . . وروى عن كعب الأحبار أنه قال :

إن الله تعالى : خلق داراً من زبرجد خضراء . . فيها سبعون ألف دار . . فى كل دار سبعون ألف بيت . . لاينزلها إلا رجل يعرض عليه الحرام فيتركه من مخافة الله تعالى .

٦- القدم . . فلا تمشى قدمه فى معصية الله . . بل يمشى فى طاعته ورضاه . . وإلى صحبة العلماء والصلحاء .

٧- الطاعة . . فيجعل طاعته خالصة لوجه الله تعالى . . ويخاف من الرياء والنفاق . . فإذا فعل ذلك . . فهو من الذين قال الله تعالى فى حقهم :

﴿ والآخرة عند ربك للمتقين ﴾[١] .

﴿ إن المتقين فى جنات وعيون ﴾[٢] .

﴿ إن المتقين فى جنات ونعيم ﴾[٣] .

﴿ إن المتقين فى مقام أمين ﴾[٤] .

ينجون من عذاب يوم القيامة . . وهكذا ينبغى للمؤمن أن يكون بين الخوف والرجاء فيرجو رحمة الله ولاييأس منها . . كما قال الله تعالى : ﴿لاتقنطوا من رحمة الله ﴾ وأن يرجع عن السوء ويكف عنه ويتوب إلى الله تعالى . . .

وهذه السبعة . . كفيلة بأن تغلق سبعة أبواب لجهنم عن وجه من يتمسك بها ويعمل بها .

---

(١) سورة الزخرف الآية ٣٥ .
(٢) سورة الذاريات الآية ١٥ .
(٣) سورة الطور الآية ١٧ .
(٤) سورة الدخان الآية ٥١ .

وقد جاء فى الأحاديث :

إن لله تعالى ملائكة فى السماء السابعة سجداً منذ خلقهم الله تعالى : إلى يوم القيامة . . ترتعد فرائصهم من مخافة الله تعالى حتى إذا كانوا يوم القيامة رفعوا رءوسهم فقالوا :

سبحانك ماعبدناك حق عبادتك ! !

وهذا هو قوله تعالى :

﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون ﴾[1] .

(إن الله لاينام)

وقد سمعنا أن رجلاً تعلق قلبه بامرأه ، فخرجت تلك المرأة إلى حاجة لها ، فذهب الرجل معها ، فلما خلا بها فى البادية . . ونام الناس . . أفشى سره إليها . .

وأخبرها بما يريد ! !

فقالت له المرأة :

أنظر . . أنام الناس بأجمعهم . . ففرح الرجل بقولها . . وظن أنها قد أجابته . . فقام وطاف حول القافلة . . فإذا بالناس نيام . . فرجع إليها مسروراً . . غبطاً . .

وقال لها : الآن لقد نام الناس جميعاً . .

فقالت له : ماتقول فى الله تعالى . . أنائم فى هذه الساعة ؟!

(١) سورة النحل الآية ٥٠ .

فقال الرجل : إن الله تعالى لاينام ولا تأخذه سنة ولانوم . .

فقالت المرأة : إن الذى لم ينم ولاينام . . يرانا وإن كان الناس لايروننا . . فذلك أولى أن نخشاه . .

فتركها الرجل خوفا من الخالق . . وتاب ورجع إلى وطنه . . فلما مات . . رأوه فى المنام فقيل له مافعل الله بك ؟

قال : غفرلى بخوفى وتركى ذلك الذنب !!

(امرأة خير من ألف رجل)

هذا رجل سعى إلى الخطيئة بقدميه ، وقد صارت بين يديه ، ولكن المرأة الصالحة . . بكلمة واحدة . . استطاعت أن تحول الشر خيراً ، والذنب طاعة ، والفاسق صالحاً ، والنار جنة ، إنها الكلمة الطيبة . . من امرأة أو رجل . .

إن من النساء من تساوى آلاف الرجال . . وكيف لا؟! . . وهى أم الرجال وهى مربية الأبطال ، وعليها الآمال . . وبناء الأجيال . !!

هذه امرأة خير من ألف رجل ، فويل للرجل الذى لايساوى امرأة !!!

(خوف من الله)

كان عمر يطوف بالكعبة ذات يوم . . وبعد أن انتهى من طوافه . . وهو طواف الرجال . . نزلت النساء وطافت بالكعبة . . وكان قد حرم طواف الرجال مع النساء . . فشاهد عمربن الخطاب . . رجلاً يطوف مع النساء . . ولم يكن قد علم بهذا التحريم !!

فما كان من عمر إلا أن ضربه . .

فقال الرجل لعمر : لم تضربنى ؟

فقال عمر : لم تطوف معهن ؟

فقال الرجل : والله ما أعلم بتحريمه إلا منك الآن . . فأنا لست من أهل هذا البلد .

قال له عمر : أهكذا ؟

قال الرجل : نعم أنا غريب ولست من هنا .

فقال له عمر : سامحنى .

فقال له الرجل : والله لا أسامحك ولأطلبن حقى أمام الله .

فبكى عمر بكاء حارا . . لأن الرجل لم يبلغه الأمر . .

﴿ وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾[1] .

فما كان من عمر إلا أن سلم الدرة للرجل ليضربه بها .

فقال الرجل : والله لا أضربك . . ولأطلبن حقى أمام الله .

فمكث عمر ثلاثة أيام يبكى ، وإذا صلى بالناس لايسمعه أحد . . لشدة بكائه . . فأخذ الناس يتوافدون على الرجل كى يسامح عمر . ولما علم الرجل بصدق عمر . . جاءه . . وقال له :

الآن قد سامحتك لوجه الله . . ثم قال :

لقد كنت أظن أنك تضربنى . . كما يفعل الملوك مع رعاياهم . . يضربون الناس . . ويذهبون إلى قصورهم .

(١) سورة الإسراء الآية ١٥ .

الآن قد أخذت حقى وزيادة !!!

يقول الراوى :

والله لو لم يسامح الرجل عمر . .

لظننا أن مرارته من الداخل ستنشق .

هذا هو الخوف من الله .

إلى هذه الدرجة . . كان يخاف الإمام العادل عمر بن الخطاب ربه . . ويعمل ليوم لقائه ألف حساب ، فهل عمل الظالمون لهذا اليوم حسابا واحداً؟ فهل حاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا ؟ وهل وزنوا أعمالهم قبل أن توزن عليهم ؟

فلربما صعدت دعوة من مظلوم أتت على الأخضر واليابس .

وفى الحديث :

لايقدس الله أمة لايؤخذ فيها الحق من القوى للضعيف غير متعتع .

ووالله لو طالت بى الحياة لأرسلت حق راعى الغنم له فى صنعاء . . فقالوا : يأتى هو ويأخذه .

فقال عمر : والله لو جاءنى راعى الغنم يأخذ حقه منى هاهنا . . لأكونن من الظالمين ، فهو هناك يرعى غنمه ويرعى عمله . . ولو جاءنى لعطل عمله وضيع غنمه .

(عدل وقصاص)

وقد جاء رجل يشتكى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ويقول له : يا أمير المؤمنين :

إن أبا موسى الأشعرى جلدنى أمام الناس .

فأرسل عمر إلى أبى موسى الأشعرى يقول له :

إن كنت جلدته أمام الناس . فليجلدك أمام الناس . . وإن كنت جلدته سراً . . فليجلدك سراً .

فما ولاكم الله عليهم لتأخذوا أموالهم وتجلدوا جلودهم . . والله لأقتصن من الحاكم للرعية !!

فقال عمرو بن العاص :

أتقتص من الحاكم للرعية ؟ فقال عمر بن الخطاب :

نعم . . وكيف لا أقتص منكم أيها الظلمة . . وقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقتص للناس من نفسه .

ويريد بذلك قصة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع سيدنا سواد (رضى الله عنه) عندما كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) ينظم صفوف الجيش فى إحدى المعارك الحربية للدفاع عن الإسلام . . وكانت فى يد الرسول درة يسوى بها الصفوف ، فوقعت واحدة على صدر سيدنا سواد بغير قصد . . وقبل دخول المعركة قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من كان منكم مظلوماً فليأخذ حقه منى . . لأنه لن ينتصر جيش فيه مظلوم . . فخرج إليه سيدنا سواد قائلاً :

يارسول الله . . لقد أوجعتنى بالدرة ، وأريد أن أقتص منك . . وعلى الفور كشف له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن صدره الشريف ، وقال له : خذ حقك ياسواد . . وتقدم سواد ، وإذا به يرمى بنفسه على صدر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مقبلاً إياه . .

فقال له الرسول (صلى الله عليه وسلم) ماالذى دعاك إلى ماقمت به ؟

قال سواد (رضى الله عنه) :

لقد علمت يارسول الله أننى سوف أقبل على هذه الحرب . . وأرجو من الله أن أموت شهيداً . . وأود أن يكون آخر عهدى بالدنيا هو مس جسدك الشريف يارسول الله . . لأن جسداً مس جسدك يارسول الله حرمت عليه النار . .

(متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا)

وقد ورد أن عمر بن الخطاب أرسل إلى عمرو بن العاص . . عندما علم أنه يجلس متكئاً أمام الناس . . قائلاً له :

ياعمرو بن العاص . . أيها العاص بن العاص :

اجلس مع الناس كما يجلس الناس . .

فإن أبغض الناس عند الله المستكبرين . .

وإن الله يكره أن يرى الرجل متميزاً بين أصحابه . .

وإن لم تحترم الناس – لصفعت صلعتك – وكان عمرو بن العاص أصلع الرأس .

وكان عمر بن الخطاب قد مكن أحد المصريين الأبرياء من أن يضرب ابن عمرو بن العاص . . وقال له :

«اضرب ابن الأكرمين»

فقد جاءه مصرى فشكا إليه واليها عمرو بن العاص، وزعم أن الوالى أجرى الخيل، فأقبلت فرس المصرى وسبق المصرى ابن عمرو بن العاص. . فلما رآها محمد بن عمرو قال: فرسى ورب الكعبة. . ثم اقتربت وعرفها صاحبها. . فغضب محمد بن عمرو. ووثب على الرجل يضربه بالسوط ويقول له: خذها وأنا ابن الأكرمين . .

وبلغ ذلك أباه. . فخشى أن يشكوه المصرى. . فحبسه زمنا. . ومازال محبوساً حتى أفلت وقدم إلى الخليفة عمر بن الخطاب لإبلاغه بشكواه .

قال أنس بن مالك راوى القصة: فوالله مازاد عمر على أن قال له: اجلس. . ومضت فترة إذا به فى خلالها قد استقدم عمرو بن العاص وابنه من مصر. . فقدما ومثلا فى مجلس القصاص .

فنادى عمر: أين المصرى ؟ دونك الدرة فاضرب بها ابن الأكرمين «فضربه حتى أثخنه ونحن نشتهى أن يضربه. فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ماضربه، وعمر يقول :

اضرب ابن الأكرمين ! ثم قال: أجلها على صلعة عمرو ! فوالله ماضربك ابنه إلا بفضل سلطانه .

فقام عمرو فزعاً وقال: يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت، وقال المصرى معتذرا :

يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربنى .

فقال عمر: أما والله لو ضربته ماحلنا بينك وبينه. . حتى تكون أنت الذى تدعه. . والتفت إلى عمرو مغضبا يقول له. . تلك القولة الخالدة التى ماقالها حاكم قبله: أيا عمرو !! متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً !!

وفى هذا أقول :

عمر الذى زجـــر ابن والى مصـر عن فعل الجهول

أعطى ابن والى مصـــر درساً فى العـــدالة لايزول

أمر الضعيف بأن يؤدب بالقصاص ابن الأصول

يا أيهـــا المظـــلوم هـــذى درة القـــوم العـــدول

فاضرب بها ظهر الظلوم ولاتخف ظلم الفحول(*)

هذا هو الحاكم . .

فلقد كان الحاكم قديما يرى فى تعبه راحة الرعية . . وفى شقائه سعادتهم . . وفى خوفه من الله أمنهم . . وفى بكائه من خشيته رحمتهم . . !!

(قصاص نبوى)

وعندما مرض النبى (صلى الله عليه وسلم) بالحمى من أثر السم الذى تقلب عليه . . والتى كانت قد وضعته له النصرانية فى الطعام . . خرج الرسول وجلس على درجة من درجات المنبر ونادى فى الناس .

يابلال : أسكت لى الناس . . أبلغ صوتى لهم . . فإن صوتى لايصل إليهم .

يا أيها الناس :

إننى أوشك أن ألاقى ربى !!

(*) من ديوان المؤلف (لآلىء ودرر من عدالة عمر)

فمن كنت جلدت له جلداً . . فهذا جلدى فليجلده .

ومن كنت قد أخذت ماله . . فهذا مالى فليأخذه .

ومن كنت هتكت له عرضاً . . فهذا عرضى فليهتكه .

ولاتقولوا رسول الله . . كيف نقتص منه ؟!

كذلك . . !!

وقد كرر الرسول (صلى الله عليه وسلم) الكلام ثانيا وثالثا . .

أقسمت عليكم : من كان عندى له شىء من هذه . . فليأخذه : فخرج رجل وقال : يارسول الله : أعطنى ثلاثة دراهم .

فقال له الرسول (صلى الله عليه وسلم) : **أنا لا أكذبك ولكن ذكرنى فيم كانت ؟**

وأراد الرسول بهذا السؤال : بيانها حتى لايظن الناس أنها كانت لأهل بيته .

فقال الرجل :

يارسول الله . . كنت جالساً بجوارك فى المسجد ومر عليك مسكين فلم تجد معك مالاً ، فأرسلت إلى أهل بيتك ، فلم تجد عندهم شيئاً . . فقلت لى : أعطه ثلاثة دراهم ، وعندما يرزقنى ربى أردها إليك .

فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو يبتسم :

الحمد لله الذى جعل دينى.. فى سبيل الله وليس لأهل بيتى ..

يافضل بن العباس - أعطه الدراهم الثلاثة .

ثم قال عليه الصلاة والسلام :

إن عبداً من عباد الله خُيِّرَ بين الملك والعبودية ، فاختار العبودية ، وقال (صلى الله عليه وسلم) :

أوصيكم بالصلاة ، فإنه لا سهم فى الإسلام لمن لا صلاة له .

وقال :

أوصيكم بالضعيفين : «المرأة واليتيم» .

«وأقسمت عليكم . . ألا تتخذوا قبرى بعدى وثنا يعبد» .

وهكذا . . وهكذا . .

أما بعد أخى فى كل مكان من أرض الله . .

أما آن الأوان . . لأن نقف وقفة مع النفس نحاسبها . . ونرى ماذا قدمنا وماذا أخرنا . . ونحذر هذا التسويف . . فإن الموت يأتى بغتة بلا مقدمات وبلا حسبان وبلا موعد .

وماهى إلا أيام معدودات ثم ينقضى الأجل . . ولانجد غير العمل . .

فإذا مات ابن آدم تبعه إلى قبره ثلاث :

ماله . . وأهله . . وعمله . .

أما ماله . . وأهله . . فيرجعان بعد أن يدفن صاحبهما .

فيقسم ماله ، ويتزوج أهله . .

أما عمله فهو الذى يدخل معه القبر . . إن خيراً فخير . . وإن شرا فشر . .

ثم ينادى المنادى فى القبر :

جاءوا ودفنوك وذهبوا وتركوك، ولو ظلوا معك ما نفعوك . . ولم يبق لك إلا أنا . . وأنا ملك الملوك . . الحى الذى لا يموت . .

فاعمل ليوم تكون فيه إذا بكى الأهل عليك . . ضاحكا مسروراً بعملك . . واعلم: أن القبر إما روضة من رياض الجنة . . أو حفرة من حفر النار . .

﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز.. وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾[1].

(دموع التأبين)

وقد جاء فى بداية الهداية :

إذا كان يوم القيامة جىء بجهنم تزفر زفرة . . فتجثوا . . كل أمة على ركبها من هولها . . كما قال الله تعالى: وترى كل أمة جاثية . . أى على الركب . . كل أمة تدعى إلى كتابها . . فإذا أتوا النار سمعوا لها تغيظا وزفيرا . . تسمع زفرتها من مسيرة خمسمائة عام . . وكل واحد حتى الأنبياء يقول: نفسى نفسى . . إلا صفى الأنبياء محمد (صلى الله عليه وسلم) فإنه يقول: أمتى . .

وتخرج من الجحيم نار مثل الجبال . . فتجتهد أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) فى دفعها وتقول: يانار بحق المصلين . . وبحق المصدقين . . وبحق الخاشعين . . وبحق الصائمين . .

أن ترجعى . . فلا ترجع . .

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٥ .

وينادى جبريل عليه السلام :

أن النار قد قصدت أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) . .

ثم يأتى بقدح من ماء . . فيناوله جبريل عليه السلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويقول :

يارسول الله خذ هذا فرشه عليها . . فيرشه عليها فتطفأ فى الحال . . فيقول (صلى الله عليه وسلم) :

ماهذا الماء ؟ فيقول جبريل عليه السلام :

هذا ماء دموع عصاة أمتك الذين بكوا من خشية الله تعالى . . فالآن أمرت أن أعطيكه لترشه على النار فتطفأ النار بإذن الله تعالى . .

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول :

اللهم ارزقنى عينين هطالتين ..

اللهم ارزقنى عينين تبكيان من خشيتك قبل أن يكون الدمع . . وقد ورد أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال :

مامن عبد مؤمن يخرج من عينيه من الدموع مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى.. فيصيب حر وجهه فتمسه النار أبدا ..

وكان محمد بن المنذر رحمه الله تعالى . . إذا بكى . . يمسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول : بلغنى أن النار لاتأكل موضعاً مسته الدموع .

يقول تعالى : ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى**﴾[1] .

(١) سورة النازعات الآية ٤٠ .

﴿ فلا تخشوا الناس واخشوني ﴾[1].

﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾[2].

﴿ ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ﴾[3].

﴿ ذلك لمن خشي ربه ﴾[4].

(إني قد غفرت له)

ويروى أنه: كان في بني إسرائيل رجل عابد ذو عيال.. وأصابته المجاعة والفقر وصار مضطراً فبعث امرأته لتطلب شيئاً لعيالها..

فذهبت إلى بيت رجل تاجر.. وطلبت منه ما تقوت به عيالها..

فقال لها الرجل.. نعم.. لك ماتريدين.. ولكن..

مكنيني من نفسك !!

فسكتت المرأة.. وعادت إلى بيتها..

خوفاً وحياء من الله..

ونظرت إلى أولادها.. يصيحون ويقولون:

أماه.. نحن نموت من الجوع.. أعطينا ما نأكله.. فلم تجد بداً.. فذهبت إلى الرجل وكلمته في شأن عيالها..

فقال لها: أتكون حاجتي مقضية ؟

فقالت له وهي تبكي: نعم !!

---

(1) سورة المائدة الآية ٤٤.
(2) سورة آل عمران الآية ١٧٥.
(3) سورة إبراهيم الآية ١٤.
(4) سورة البينة الآية ٨.

فلما خلا بها ارتعدت فرائصها . . حتى كادت أعضاؤها تزول عن مواضعها من خشية الله ! !

فقال لها : مالك ؟

فقالت له : هذا عمل ماعملته قط . . إنى أخاف الله ! !

فقال لها : إنك تخافين الله تعالى مع ما بك من الفقر فأنا أحق بالخوف منه مع ما بى من غنى وامتنع عنها وقضى حاجتها أضعافاً مضاعفة . . وانصرفت بنعمة كثيرة إلى أولادها . .

فشبعوا وفرحوا . . . وناموا . .

فأوحى الله إلى موسى عليه الصلاة والسلام :

ياموسى :

قل لفلان بن فلان إنى قد غفرت له ذنوبه . .

فجاءه موسى عليه الصلاة والسلام فقال له :

لعلك قد فعلت خيراً بينك وبين الله . .

فذكر له القصة ! !

فقال له موسى :

إن الله تعالى قد أرسلنى إليك لأخبرك :

أنه جل وعلا قد غفر لك ماكان من ذنبك . .

هذا خوف من الله وخشية جعلت الله فى سمائه يرسل نبيه موسى عليه الصلاة والسلام إلى عبد من عباده خافه فى مقام . . ليخبره أن الله قد غفر له ، فطوبى للخائفين من الله جل علاه ، وويل للمجاهرين من العصاة . .

وصدق الله إذ يقول لملائكته : «أخرجوا من النار من ذكرنى يوماً . . أو خافنى فى مقام» .

(بشعرة واحدة)

(ينجو من النار)

اللهم اقسم لنا من خشيتك ماتحول به بيننا وبين معاصيك، ومن الطاعة ماتبلغنا به جنتك . .

ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

لايلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ..

وقد جاء فى الأثر :

«يؤتى بعبد يوم القيامة . . فترجح سيئاته . . فيؤمر به إلى النار . . فتتكلم شعرة من شعرات عينيه وتقول :

يارب !!

رسولك محمد (صلى الله عليه وسلم) قال :

«من بكى من خشية الله حرم الله تلك العين على النار»

وإنى بكيت من خشيتك فيغفر الله له . . وتستخلصه من النار ببركة شعرة واحدة كانت تبكى من خشية الله فى الدنيا .

فينادى جبريل عليه السلام :

نجا فلان بن فلان بشعرة واحدة

هذه شعرة واحدة نجت صاحبها من هول النار وعذابها . . إلى زهر الجنة ونعيمها، وكان من أهل النار فأصبح من أهل الجنة . . بشعرة . . فلا يستصغر الإنسان أى خير يعمله . . ولا يأتك الشيطان فيقول لك . . هذا قليل وينفرك منه . . فرب درهم سبق ديناراً . . فأطفئوا النار ولو بشق تمرة . .

(الأخضر واليابس)

وقال البيهقى فى رواية له : عن العباس بن عبد المطلب :

«قال : كنا جلوساً مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تحت شجرة . . فهاجت الريح فوقع ماكان فيها من ورق يابس ، وبقى ماكان من ورق أخضر ، فقال الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) مامثل هذه الشجرة ؟

فقال القوم : الله ورسوله أعلم . .

فقال : مثل المؤمن إذا اقشعر من خشية الله عز وجل.. وقعت ذنوبه وبقيت له حسناته.

فقد شبه الحسنات بالورق الأخضر النافع ، وشبه السيئات بالورق الأصفر اليابس الذى تذروه الرياح . . وهذه الصورة غاية فى الروعة والجلال وبيان بلاغة الأسلوب النبوى المشرق الوضاء . .

فإذا هاجت الرياح وتساقطت أوراق الشجرة اليابسة مثلها مثل اضطراب قلب المسلم من خشية مولاه فتتساقط عنه ذنوبه وخطاياه .

اللهم أسقط أوراق أشجارنا اليابسة من خريف المعاصى .

واكس أشجارنا أوراقاً خضراء من ربيع الجنة .

(من خشية الله)

وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال :

لما أنزل الله عز وجل على نبيه (صلى الله عليه وسلم) هذه الآية :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ﴾[1].

تلاها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذات يوم على أصحابه فخر فتى مغشياً عليه، فوضع النبى (صلى الله عليه وسلم) يده على فؤاده، فإذا هو يتحرك فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): يافتى قل لا إله إلا الله: فقالها، فبشره بالجنة، فقال أصحابه:

يارسول الله أمن بيننا ؟

قال: أو ماسمعتم قوله تعالي: ﴿ ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد ﴾[2].

وعن بهز بن حكيم قال:

أمَّنا زرارة بن أوفى (رضى الله عنه) فى مسجد بنى قشير، فقرأ المدثر، فلما بلغ: فإذا نقر فى الناقور.. خر ميتاً..

وزرارة رحمه الله من أهل البصرة.. وكان من التابعين..

(حسن الختام)

وعن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال:

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول:

كان الكفل من بنى إسرائيل لايتورع من ذنب عمله، فأتته امرأة، فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها، فلما أرادها عن نفسها، ارتعدت وبكت، فقال: مايبكيك ؟

قالت: لأن هذا عمل ماعملته، وماحملنى عليه إلا الحاجة، فقال لها:

---

(١) سورة التحريم الآية ٦.   (٢) سورة إبراهيم ١٤.

تفعلين هذا أنت من مخافة الله، فأنا أحرى. . اذهبى فلك ما أعطيتك، ووالله ما أعصيه بعدها أبدا، فمات من ليلته، فأصبح مكتوب على بابه :

إن الله قد غفر للكفل. . فعجب الناس من ذلك[1].

فلقد تاب توبة صادقة. . جعلته عمل بعمل أهل الجنة. . وهو الذى كان يعمل بعمل أهل النار. . فتاب توبة نصوحا غفر الله بها له ماتقدم من ذنبه.

ويقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) :

فو الذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى لايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ..

وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لايكون بينه وبينها إلا ذراع.. فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها[2].

اللهم اجعل خير أيامنا يوم نلقاك وخير أعمالنا خواتيمها.

اللهم إنا نسألك حسن الختام، والصلاة والسلام على خير الأنام.

(إذا أنا مت فاحرقونى)

وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) : أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال :

كان فيما قبلكم رجل يسرف على نفسه، لما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فاحرقونى ثم اطحنونى ثم ذرونى فى الريح فوالله لئن قدر الله على ليعذبنى عذابا ماعذبه أحداً.. وكان لم يفعل خيراً فى حياته ..

فلما مات. . فعل به أولاده ذلك . .

(١) رواه الترمذى والحاكم.

(٢) متفق عليه.

فأمر الله الأرض . . فقال لها : اجمعي مافيك ففعلت ، فإذا هو قائم فقال :

ماحملك على ماصنعت ؟

قال : خشيتك يارب ، فغفر الله له[1].

(ضيق وفرج)

وقد ورد أيضاً أن ثلاثة رجال . . خرجوا ذات يوم يلتمسون لأهلهم رزقاً . . وكان الجو عاصفاً . . فأصابهم المطر . . فلجئوا إلى جبل . . فوقعت عليهم صخرة فسدت عليهم الغار . .

فقال بعضهم لبعض : عفا الأثر ، ووقع الحجر . . وانقطع الخبر ، ولايعلم بمكانكم إلا الله ، فادعوا الله تعالى . . وليتوسل كل بأفضل أعماله . فقام أحدهم ورفع يديه إلى السماء ضارعاً :

اللهم إنك تعلم أنه كانت امرأة تعجبني . . فراودتها عن نفسها فأبت على ذلك . . ومرت الأيام وأصابها قحط ومجاعة . . فجاءتني تطلب مني مساعدتها فأبيت حتى تمكنني من نفسها . . فلما أسلمت لي نفسها . . تذكرت جلالك فخشيت عقابك . . وتركتها بعد أن أعطيتها حاجتها . . فاللهم إن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك رجاء رحمتك وخشية عذابك . . فاللهم افرج عنا مانحن فيه . . فزال ثلث الصخرة لكنهم لايستطيعون منه الخروج .

وقام الثاني ورفع يديه إلى السماء ضارعاً :

---

(١) متفق عليه .

اللهم إنك تعلم : أنه كان لى والدان . . فكنت أحلب لهما فى إنائهما ، فإذا وجدتهما نائمين مكثت حتى يستيقظا . . وذات ليلة حلبت لهما فوجدتهما نائمين . . وكرهت أن أسقى قبلهما أهلاً ولا ولدا أو أبيع منه . . ولبثت والقدح فى يدى انتظرهما حتى برق الفجر فاستيقظا وشربا .

فاللهم إن كنت تعلم : أنى فعلت هذا ابتغاء مرضاتك . . فافرج عنا . . فزال ثلث آخر لكنهم لايستطيعون منه الخروج .

وتقدم الثالث ورفع يديه إلى السماء ضارعا :

اللهم إنك تعلم : أنى استأجرت أجيراً يوماً فعمل لى نصف النهار ، فأعطيته أجراً فغضب عليه ولم يأخذه وتركه وذهب . . فنميته له حتى صار من ذلك المال بقراً وإبلا وغنماً . . ثم جاءنى بعد مدة يطلب أجره منى ، فقلت له : خذ هذا القطيع كله . . فقال لى :

لاتسخر منى بل أعطنى أجرى !!

فقلت له : هذا أجرك قد ربيته لك !!

فأخذه ومضى ولو شئت لم أعطه إلا أجره الأول !!

اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك رجاء رحمتك وخشية عذابك فافرج عنا . .

فزال الحجر كله وخرجوا ساعين مستبشرين[1] .

(رحمة)

وعن أنس (رضى الله عنه) قال :

---

(١) متفق عليه .

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

يقول الله عز وجل :

أخرجوا من النار من ذكرنى يوماً أو خافنى فى مقام[1] .

(عفـــو)

وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : قال : **يقول الله عز وجل: إذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة**[2] .

(سلعة الله الجنة)

وعنه أيضاً (رضى الله عنه) قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) **يقول من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**[3] .

وكلمة «أدلج» أى: أسرع بالعمل الصالح . . وسابق إلى منازل الأبرار بالجد فى العبادة .

(وسارعوا)

يقول تعالى: **﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾**[4] .

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه الترمذى .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٣٣ .

وفى الحديث :

لو يعلم المؤمن ماعند الله من العقوبة ماطمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ماعند الله من الرحمة ماقنط من رحمته أحد(١) .

وقوله (صلى الله عليه وسلم) الذى جعل الصحابة يبكون ويغطون رؤوسهم من هوله : فقد جاء عن أنس (رضى الله تعالى عنه) أنه قال :

خطب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خطبة ماسمعت مثلها قط . .

فقال (صلى الله عليه وسلم) :

لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرا، فغطى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجوهم ولهم خنين. أى: بكاء مع صوت من الأنف .

وقال : **والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وماتلذذتم بالنساء على الفرش**(٢) . . . . الخ .

(يخاف خليله)

ولقد كان الخليل أبو الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليه) إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه وهو الذى ما ساء قط . .

فأرسل الله تعالى جبريل (عليه السلام) فأتاه فقال له :

الجبار يقرئك السلام ويقول لك :

هل رأيت خليلاً يخاف خليله ؟!

فقال : ياجبريل . . إذا ذكرت خطيئتى وفكرت فى عقوبته نسيت خلتى .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(ماهو الوجل)

إن الخوف من الله هو سمة المؤمنين الذين يرجون الله واليوم الآخر ويخافون عذابه . . وقد مدح الله هؤلاء بقوله الكريم :

﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ﴾[1] .

وهذا الوجل هو خفقان فى القلب يحدث للمؤمن إذا سمع اسم الله يتلى عليه . . أو سمع أو قرأ أو شاهد صفاته وآياته فى الكون التى لاتحصى ولاتعد .

إنها القشعريرة التى تحمل طائفة من النسيم فى صدر المؤمن تتخلل جوارحه وجوانحه . . فيشعر المؤمن وكأن السماء تمطر فى داخله . . أو كأن أسراب الحمام ترفرف فى صدره .

ولقد كان نبى الله داود (عليه الصلاة والسلام) يجلس ذات يوم فى صومعته يتلو الزبور إذ رأى دودة حمراء فى التراب .

فقال فى نفسه : ما أراد الله بهذه الدودة ؟ فألهم الله الدودة أن تتكلم فقالت :

يا نبى الله : أما نهارى . . فألهمنى ربى أن أقول فى كل يوم :

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . . ألف مرة . .

وأما ليلى فألهمنى ربى أن أقول فى كل ليلة :

اللهم صل على محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم . . . .

(١) سورة الأنفال الآية ٢ .

فأنت يانبى الله ماذا تقول حتى أستفيد منك ؟!

فأصابت داود عليه السلام قشعريرة الوجل . . من خشية الله !!

(ثمرة الخوف من الله فى الدنيا والآخرة)

إن الخوف من الله هو روح العبادة ولبها ومن خاف سلم وأمن لأنه بخوفه يتجنب مانهى الله عنه ويأتى ما أمر الله به . . فيكون بذلك عبداً ربانياً يقول للشىء كن فيكون . . لأنه خاف الله فخوف الله منه كل شيء . . لحديث النبى (صلى الله عليه وسلم) :

عن واثلة بن الأسقع (رضى الله عنه) قال :

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

من خاف الله عز وجل.. خوف الله منه كل شيء !!

ومن لم يخف الله.. خوفه الله من كل شيء !!

نعم . .

خاف منه كل شيء !!

ألم يكن إبراهيم الخليل عليه السلام الذى عاش لله يخاف منه وهو خليله؟!

لقد كان يخاف منه ويرى أن خطاياه لاتحصى ولاتعد وهو الذى قال الله فيه :

﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾[1].

---

(١) سورة النساء الآية ١٢٥ .

﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ﴾[1].

﴿ وإبراهيم الذى وفي ﴾[2].

لقد خاف الله خوف الأوابين فخوف الله منه كل شيء . . حتى النار التى ألقوه فيها لم تجرؤ أن تمس ثيابه . .

كذلك !!

لقد كان عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يخشى الله خشية من يعتقد أن النار لم تخلق إلا له . . فكان يقول :

لو نادى مناد الله يوم القيامة : كل الناس يدخلون الجنة إلا رجلاً واحدا . . لظننت أننى ذلك الرجل .

وكانت تخشاه الملوك وهو يرتدى ثوباً به سبع عشرة رقعة من شتى الألوان والأصناف .

وكان على بن أبى طالب (رضى الله عنه) :

يرتدى ثيابا مهلهلة وله من المهابة مالو تمثلت لجبل لدكته دكاً . . يقولون عنه : كانت مهابته نورانية تتفجر من جوانبه . . وحكمة تنطق من نواحيه . . وكانت تهابه القياصرة والأكاسرة .

والإمام الشافعى (رضى الله عليه) :

هذا الإمام العلامة الذى ملأ طباق الأرض علماً . . والذى كان الخير يجرى على يديه أينما حل أو رحل . . وعليه من الله المهابة والوقار والجلال . . فلقد كساه الله من كماله وجماله وجلاله . .

(١) سورة النحل الآية ١٢٠ .

(١) سورة النجم الآية ٣٧ .

(كسوة الصالحين)

وهذه هى كسوة الله لأحبابه . . كسوة الصالحين . .

فمن غسل قلبه بدموع الخوف من الله . . كساه الله بثياب العزة والمهابة . . نسأل الله أن يكسونا بهذه الثياب التى لاتبلى . .

فإن كل الثياب تبلى . . إلا ثياب التقوى . .

كل الثياب تنضو . . إلا ثياب الخوف من الله . .

كل الثياب تعرى . . إلا ثياب الإيمان بالله . .

هؤلاء هم الصفوه المختارة التى خافت فأمنت . . وصبرت فنالت . . وهذه هى الثياب الباقية فمن لم يحظ بثوب منها فهو عار . . وإن ارتدى ثياب الدنيا وتدثر بصوف العالم !!

لقد كانوا عراة فكساهم الله . .

لقد كانوا عراة الأجسام كساة القلوب . .

كان لايملك الواحد فيهم إلا ثوباً واحداً . فإذا غسله ظل عارياً حتى يجف . .

قوم إذا غسلوا الثياب رأيتهم .·. لبسوا البيوت وزرروا الأبوابا

لقد كانت ثيابهم مرقعة رخيصة . . ولكن بداخلها جواهـر نفيسة

يقول الشافعى عن نفسه معبراً عن هذا المعنى :

على ثياب لو تقاس جميعها .·. بفلس لكان الفلس منهن أكثرا

وفيهن نفس لو تقاس ببعضها .·. نفوس الورى كانت أجل وأكبرا

ورغم هذا وكل هذا . . كانوا لله فكان الله لهم . .

وعلى فقرهم هذا . . وعلى حاجتهم هذه . . كانوا شاكرين حامدين وكانوا يقولون :

نحن في سعادة لو علمت بها الملوك لقاتلتنا عليها .

لقد كانوا يجدون أنفسهم فى نعمة غامرة حامدين لله رب العالمين يقولون : ربنا إننا لسنا أهلاً لهذه النعمة .

أما نحن اليوم فلدينا أفخر الثياب والرياش بألوانها وأشكالها وأحجامها . . ورغم هذا نتطلع إلى هذا وذاك . . وننظر هنا وهناك . . ولم نتوجه إلى الله شاكرين هذا العطاء الممدود وهذه الفيوض التى ليس لها حدود ، والله يقول : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابى لشديد ﴾[1] .

(مغفـــرة)

عن أنس (رضى الله عنه) قال :

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول :

قال الله تعالى :

يابن آدم : إنكْ مادعوتنى ، ورجوتنى ، غفرت لك على ماكان منك ، ولا أبالى . .

ياابن آدم : لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ، ولا أبالى

(١) سورة إبراهيم الآية ٧ .

ياابن آدم: لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة[1] ولاأبالى.

(فى ملأ خير منه)

وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال:

قال الرسول (صلى الله عليه وسلم):

أنا عند ظن عبدى، وأنا معه حيث يذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته في ملأ خير منه[2].

(أعطاه الله مايرجو)

وعن أنس (رضى الله عنه) قال:

دخل النبى (صلى الله عليه وسلم) على شاب وهو فى الموت.. فقال: كيف تجدك؟

قال: أرجو الله يارسول الله.. وإنى أخاف ذنوبى..

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو.. وأمنه مما يخاف[3].

---

(١) رواه الترمذى.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) رواه الترمذى.

(حسن الظن بالله)

من هنا قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مؤكداً هذه القيمة :

لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل[1] .

(فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)[2] .

وفائدة هذا الحديث منفعة عظيمة . . لأن حسن الظن طاعة وعبادة لله تعالى وعبادة حسنة وكذلك سوء الظن معصية من المعاصى ومعصية كبيرة .

﴿ **إن بعض الظن إثم** ﴾[3] . فلا يظن أحد بربه إلا خيراً . .

فمن حسنت عبادته حسن ظنه . . ومن لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه .

والظن الحسن : هو الاعتقاد بأن الله تعالى يغفر له إذا تاب وأناب . . ويقبل دعاءه إذا دعاه ونحو ذلك . .

فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

حسن الظن من حسن العبادة[4] .

(أنا عند ظن عبدى بى)

وعن حبان أبى النضر قال :

خرجت عائداً ليزيد بن الأسود «من خيار التابعين» فلقيت واثلة بن الأسقع وهو يريد عيادته . . فدخلنا عليه فلما رأى واثلة بسط يده وجعل يشير

(١) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه .

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٢ .

(٣) سورة الحجرات الآية ١٢ .

(٤) رواه الحاكم والترمذى وأبو داود .

إليه فأقبل واثلة حتى جلس . . فأخذ يزيد بكفى واثلة فجعلهما على وجهه ، فقال له واثلة : كيف ظنك بالله ؟

قال : ظنى بالله . . والله حسن .

قال : فأبشر ، فإنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول :

قال الله جل وعلا :

أنا عند ظن عبدى بى .. إن ظن خيراً فله ، وإن ظن شراً فله[1] .

(الخير فى يده)

وعن عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) قال :

والذى لا إله غيره لايحسن عبد بالله الظن إلا أعطاه ظنه ، وذلك بأن الخير فى يده .

(ردوه إلى الجنة)

وقال الرسول الخاتم (صلى الله عليه وسلم) :

أمر الله عز وجل بعبد إلى النار ، فلما وقف على شفتها التفت فقال : أما والله يارب إن كان ظنى بك لحسنا ! !

فقال الله عز وجل :

ردوه . . أنا عند حسن ظن عبدى بى[2] .

---

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه البيهقى .

(سلام قولاً من رب رحيم)

(يوم المزيد)

ولقد جاء فى زهر الرياض :

ماروى عن النبى (صلى الله عليه وسلم) :

أنه إذا دخل أهل الجنة الجنة :

تتلقاهم الملائكة بكل خير ونعمة، فتوضع لهم المنابر، وتفرش . . ويؤتى لهم بألوان الأطعمة والفواكه، ثم تكون فيهم مع هذه النعمة حيرة ! !

فيقول الله :

ياعبادى ماهذه الحيرة وليست هذه دار حيرة ؟!

فيقولون :

إن لنا موعداً . . قد جاء وقته . .

فيقول الله تعالى للملائكة :

ارفعوا الحجب عن الوجوه . .

فتقول الملائكة :

ياربنا كيف يرونك وقد كانوا عصاة ؟!

فيقول الله تعالى :

ارفعوا الحجب فإنهم كانوا ذاكرين ساجدين باكين فى الدنيا . . طمعاً فى لقائى . . فترفع الحجب فينظرون فيخرون سجداً لله عز وجل .

فيقول الله تعالى :

ارفعوا رؤوسكم، فإن هذه ليست بدار العمل، بل دار الكرامة . . فيتجلى لهم بلا كيف، ويقول: انبساطاً: سلام عليكم ياعبادى، فقد رضيت عنكم فهل رضيتم عنى ؟

فيقولون :

ومالنا ياربنا لانرضى وقد أعطيتنا مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولاخطر على قلب بشر . . وهو قوله تعالى: ﴿رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ سلام قولا من رب رحيم ﴾[3].

---

(١) سورة البينة الآية ٨ .

(٢) سورة ق الآية ٣٥ .

(٣) سورة يس الآية ٥٨ .

الظلم وعاقبة الظالمين

(الظلم ظلمات يوم القيامة)[1]

حديث شريف

---

(١) رواه البخاري .

(الظلم)

قال تعالى: ﴿ **وكذلك أخذ ربك، إذا أخذ القرى وهى ظالمة، إن أخذه أليم شديد** ﴾[1].

وعن أبى ذر (رضى الله تعالى عنه) عن النبى (صلى الله عليه وسلم) فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا[2].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

الظلم ظلمات يوم القيامة[3].

ويقول عليه الصلاة والسلام :

المسلم أخو المسلم.. لايظلمه ولايخذله[4].

إن الله يملى للظالم . . فإذا أخذه لم يفلته . . ثم قرأ قوله تعالى: ﴿**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد**﴾[5].

ثم ينظر النبى (صلى الله عليه وسلم) إلى أصحابه يسألهم ويجيبهم ليشدهم إليه ويضىء عقولهم وينير قلوبهم . . فيقول لهم :

---

(١) سورة النمل الآية ٥٢ .
(٢) رواه مسلم والترمذى .
(٣) رواه البخارى .
(٤) رواه أحمد .
(٥) رواه البخارى .

أتدرون من المفلس ؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولامتاع، فقال: إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه.. أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح فى النار[1].

وكيف النجاة إذن يارسول الله ؟ يقول (صلى الله عليه وسلم) :

من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلله منه اليوم.. من قبل أن لايكون دينار ولادرهم.. إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه[2].

ولاتنتظر حتى يدعو عليك دعوة لاترد. . فقد بعث النبى (صلى الله عليه وسلم) معاذا إلى اليمن وقال له: **اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**[3].

واعلم أن هناك من الدعاء ما لا يرد. . فقد قال الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) **عن ثلاثة لاترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم، يرفعها الله إلى الغمام ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين**[4].

وهذه دعوات مستجابة: دعوة الوالد، والمسافر، ودعوة المرء لأخيه بظهر الغيب، ودعوة المظلوم، ودعوة الصائم، ودعوة الإمام العادل[5]. . . . . الخ .

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى .
(٤) رواه أحمد . (٥) رواه أحمد والترمذى .

فاحذر دعوة المظلوم وإن كان فاجراً . . وإن كان كافراً . . فقد حذرك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال : **دعوة المظلوم مستجابة.. وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه**[1] .

وقال : دعوة المظلوم ، وإن كان كافرا . . ليس بينها وبين الله حجاب[2] .

(دع مايريبك إلى مالايريبك)

وإذا كنت فى قلق من أمر ما . . تخشى أن يكون حراماً وتطمع أن يكون حلالا . . فلا تجعل للشيطان عليك سبيلاً . . واقطع الشك باليقين واقطع الحرام بالحلال ، واقطع الباطل بالحق . . كما علمك رسولك الكريم (صلى الله عليه وسلم) : **دع مايريبك إلى مالايريبك**[3] .

فكيف بك وأنت تظلم من لايستطيع رد هذا الظلم . . ولايجد من يشكو إليه سوى مولاه . . فيهرع إليه ليلاً وفى الأسحار يشكوك إليه . . والرسول الكريم قد حذرك من هذا مرارا وتكرارا عن رب العزة سبحانه . . «اشتد غضبى على من ظلم من لايجد له ناصراً غيرى» فيظل طول ليله ونهاره يصب عليك دعاءه . . ويتضرع إلى الله أن يقتص له . . وما الله بغافل !!

فإذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك .

ومن ظلم شبراً من أرض طوقه الله من سبع أراضين يوم القيامة . .

واعلم أن الله تعالى لما خلق الخلق ، واستووا على أقدامهم رفعوا رؤسهم إلى الله وقالوا : يارب مع من أنت ؟ قال مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه . .

(١) ، (٢) ، (٣) رواه أحمد .

ويهمس الشاعر فى الآذان بكلماته محذراً بلغته العذبة :

لاتظلمن إذا ماكنت مقتـدرا .·. فالظـلم يرجع عقباه إلى الندم

تنام عينـك والمظلوم منتبـه .·. يدعو عليك وعين الله لم تنـم

(الخمسة المغضوب عليهم)

ويحذرك خاتم الأنبياء أن تكون واحداً من الخمسة المغضوب عليهم :

* أمير قوم يأخذ حقه من رعيته . . ولاينصفهم من نفسه . . ولايدفع الظلم عنهم .

* وزعيم قوم يطيعونه . . ولايسوى بين القوى والضعيف . . ويتكلم بالهوى .

* ورجل لايأمر أهله وولده بطاعة الله . . ولايعلمهم أمر دينهم .

* ورجل استأجر أجيراً فاستعمله ولم يوفه أجره .

* ورجل ظلم امرأة فى صداقها .

(عبرة وعظة)

ويروى أن جباراً من الجبابرة بنى قصراً وشيده حتى أصبح فريد زمانه، وسولت له نفسه يوماً . . أن يوسعه ويضيف إليه استراحة وناديا للطرب . . وأخذ يطوف حول القصر لينظر ماذا يفعل . . فوجد كوخاً لامرأة عجوز . . فقال لمن هذا ؟ فقيل لعجوز . . قال : أين هى ؟ قالوا : خرجت تعود

شقيقتها . . فأمر بهدمه فهدم . . وجاءت المرأة العجوز إلى كوخها فلم تجده . . فسألت أين هو ؟ قيل لها : هدمه الملك . . فرفعت العجوز رأسها إلى السماء وصرخت يارب . . أنا لم أكن حاضرة . . فأنت أين كنت ؟ فأمر الله تعالى جبريل (عليه السلام) أن يقلب القصر على من فيه . . بريشة من جناحه . . فصار القصر حطاماً . . وأصبح أعلاه أسفله وأسفله أعلاه ودمره الله تدميرا إلا موضع لبنة فيه كتب عليها : ﴿ **فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا**﴾[1] .

(من اعتز بغير الله ذل)

﴿ ولايظلم ربك أحدا ﴾[2] . **﴿ وما أنا بظلام للعبيد ﴾**[3] .

وكان أحد الملوك قد أخذته العزة بالإثم . . وأراد أن لايجعل على الأرض إلا من يسبح بحمده فى الصباح وفى المساء . . فجمع علماء الدين وأولياء الله الصالحين . . وزج بهم فى السجون بلا ماء ولا طعام ولامأوى .

وإن الله ليغضب لأوليائه وهو القائل فى حديثه القدسى : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب . . ودعوة المظلوم لاترد وإن كان المظلوم كافراً . . فما بالك لو كان هؤلاء المظلومون أولياء صالحين .

فما كان من هؤلاء الأولياء إلا أن قاموا وصلوا وتضرعوا إلى الله فى الهزيع الأخير . . من الليل وسألوا الله أن ينتقم لهم . .

(١) سورة النمل الآية ٥٢ . (٢) سورة الكهف الآية ٤٩ .
(٣) سورة ق الآية ٢٩ .

وكان هذا الملك يعتز ببطانته . . وبوزيره . . وكهانه . . الذين أشاروا عليه بحبس هؤلاء الأبرياء . . وكان يعتز بعسكره وجنوده، ومن اعتز بغير الله ذل، ومن اعتز بماله قل، ومن اعتز بعلمه ضل، ووالله ماأهلك فرعون إلا هامان .

واستجاب الله دعاءهم . . وأذل هذا الملك الظالم . . من حيث يعتز . . فقلب الله عليه وزيره وكهانه وعسكره . . وتآمروا على قتله . . فقتلوه شر قتلة . . ومثلوا به . . ولايظلم ربك أحداً . . وأعز الله أولياءه . . فخرجوا وهم أعزة منتصرين لله والدين . .

(بعد فوات الأوان)

وكان أحد الملوك قد فطن إلى هذا . . وعلم أن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب . . ولكن متى ؟ بعد أن أذله الله وأدخله السجن الذى كان يدخل الأبرياء فيه . . فدخل السجن هو وأولاده فقال له ولده : يا أبت بعد العز . . صرنا فى الحبس والقيد . . قال له أبوه وهو يتقطع ألما : يابنى إنها دعوة مظلوم علينا . . غفلنا عنها . . ولم يغفل الله عنها . . ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** ﴾[1] .

(فلنبادر بالتوبة)

وبعد . . فلعلها . . عظة . . لاتمر هباء . . أو تضيع سدى . . فلنبادر برد المظالم إلى أهلها . . اليوم . . قبل غد . . والحمد لله . . أننا مازلنا فوق

(١) سورة الشعراء الآية ٢٢٧ .

الأرض وغدا سنكون تحتها . . فلنبادر . . بالتوبة قبل فوات الأوان . . وحلول الهوان . . واعلم أن الظلم . . من الظلمات . . التى تكسو صاحبها بكساء السوء ويرقع الرذيلة يوم القيامة . .

واعلم أن الذى تظلمه هذا أخ لك . . وقد نصحك خاتم الأنبياء بهذا . . حيث قال : المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله ، ولايحقره . . التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، ويشير إلى صدره ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله[1] .

(الظلم محرم فى شتى الديانات)

واعلم أخى فى الإسلام أن كل الديانات والرسالات السابقة . . حرمت الظلم وجعلته من أكبر الكبائر . .

فعن أبى ذر (رضى الله تعالى عنه) قال : قلت : يارسول الله ماكانت صحف إبراهيم ؟ قال : **كانت أمثالاً كلها.. أيها الملك المسلط المبتلى المغرور: إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم، فإنى لا أردها، وإن كانت من كافر، وعلى العاقل.. أن يكون له ساعات: فساعة يناجى فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها فى صنع الله عز وجل، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلي العاقل أن لايكون ظاعناً إلا لثلاث: تزود لمعاد (أى: عمل الصالحات زاداً للآخرة) أو مرمة لمعاش(أي: إصلاح معاش) أو لذة فى غير محرم (أى: الزواج المشروع). وعلى**

---

(١) رواه مسلم .

العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله.. قل كلامه فيما يعنيه ..

قلت: يارسول الله: فما كانت صحف موسى عليه السلام ؟ قال: **كانت عبراً كلها: عجبت لمن أيقن بالموت، ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار، ثم هو يضحك. عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها، عجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لايعمل..** قلت: يارسول الله أوصني قال: **أوصيك بتقوى الله، فإنها رأس الأمر كله.** قلت يارسول الله زدني، **قال: عليك بتلاوة القرآن، وذكر الله عز وجل، فإنه نور لك في الأرض، وزخر لك في السماء** قلت: يارسول الله زدني. **قال: إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب، ويذهب بنور الوجه،** قلت: يارسول الله زدني، **قال: عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي.** قلت: يارسول الله زدني، **قال: أحب المساكين وجالسهم.** قلت: يارسول الله زدني، **قال: انظر إلى ماهو تحتك، ولاتنظر إلى من هو فوقك، فإنه أجدر أن لا تزدرى نعمة الله عندك.** قلت: يارسول الله زدني، **قال: قل الحق وإن كان مراً.** قلت: يارسول الله زدني، **قال: ليردك عن الناس ماتعلمه من نفسك (أي: يشغلك عيبك عن عيوب الناس) ولاتجد عليهم فيما تأتي، وكفى بك عيباً أن تعرف من الناس ماتجهله من نفسك، وتجد عليهم فيما يأتي، ثم ضرب بيده على صدري، فقال: يا أباذر: لاعقل كالتدبير، ولاورع كالكف (أى عن الأذى) ولاحسب كحسن الخلق[1].**

فهل بعد ذلك.. يليق بالمسلم أن يظلم أخاه المسلم ... ولو حتى بكلمة ؟ لا ..

(١) رواه ابن حبان والحاكم .

(من خذل مسلماً خذله الله)
(ومن نصر مسلماً نصره الله)

لايليق أبداً . . بمن يؤمن بالله واليوم الآخر . . أن يظلم أخاه، أو يخذله . .

والله يقول: وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله «أي في دنياه وآخرته» ولأنتقمن ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم يفعل .

والحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه يقول :

مامن مسلم يخذل امرأ مسلماً «أي يتخلى عنه» في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، ومامن امرىء ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته[1] .

ويروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال . . **أمر بعبد من عباد الله يضرب في قبره مائة جلده فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة، فامتلأ قبره عليه نارا.. فلما ارتفع عنه وأفاق.. قال: علام جلدتموني ؟ قال: إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره**[2] .

والواجب أن تنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . . كما أمر حبيبك (صلى الله عليه وسلم) **أنصر أخاك ظالما أو مظلوما.. قيل.. ننصره مظلوماً.. فكيف ننصره ظالماً ؟ قال: تحجزه عن الظلم، فإن ذلك نصره**[3] .

---

(١) رواه أبو داود .　　(٢) رواه ابن حبان .

(٣) رواه البخاري .

كما لاتنس أن تحمى أخاك المسلم من الظلم إذا شعرت بوقوعه . . وأن تبصره به لأن المؤمن مرآة أخيه . . والمسلم أخو المسلم والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) :-

من حمى مؤمناً من منافق بعث الله ملكاً يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم[1].

أما إذا كنت أنت المظلوم فاعتصم بحبل الله . . ولايزال معك من الله ظهير ، مادمت على الحق . .

أما إذا كنت تخشى الظلم . . فالوقاية خير من العلاج . . بل هى العلاج نفسه . . كما سنها رسول الله(صلى الله عليه وسلم) حيث يقول :

إذا تخوف أحدكم السلطان فليقل: اللهم رب السموات السبع، ورب العرش العظيم.. كن لى جاراً من شر فلان بن فلان، يعنى الذى يريده، وشر الجن والإنس وأتباعهم أن يفرط على أحد منهم، عز جارك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك[2].

أو قل :

رضيت: بالله تعالى رباً، وبالإسلام دينا، وبمحمد (صلى الله عليه وسلم) نبياً، وبالقرآن حكماً وإماماً.. فإن قلت هذه أو تلك، نجاك الله من كيد الظالمين[3].

هذه هى وصية الهادى الأمين ورحمة الله للعالمين . . الذى يعلم لغة السماء ويخاطب بها . . فقد تكلم مع ربه . . عندما استدعاه الله إليه وشرفه

(١) رواه أبو داود .
(٢) رواه الطبرانى .
(٣) رواه ابن أبى شيبة .

وشرف أمته بدعوته (صلى الله عليه وسلم) إلى سدرة المنتهى . . دعوة المحب لحبيبه دعوة السماء للأرض . . فهو أجدر الناس بالتبليغ عن ربه . . وهو أدرى بلغة السماء وهو أعلم الناس بما يرضيه وما يغضبه . . فينبغى علينا أن نتمسك بكل كلمة بل بكل حرف يقوله (صلى الله عليه وسلم) دون تغيير أو تبديل . . وأن نأخذ أحاديثه (صلى الله عليه وسلم) وقاية لنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . . فإنها البلسم . . وإنها الطريق إلى مرضاة الله عز وجل . . والسبيل إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

وإليك هذه الخطبة الشافية لرسول الإنسانية (صلى الله عليه وسلم) فتدبرها واعمل بها . . فإنها بلاغ للناس أجمعين . . وهدى للعالمين على الصراط المستقيم .

يقول الرسول الخاتم (صلى الله عليه وسلم) :

«إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض: السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم: ثلاث متواليات: ذو القعدة.. وذو الحجة.. والمحرم.. ورجب «مضر» الذى بين جمادى وشعبان.. أى شهر هذا ؟» قلنا : الله ورسوله أعلم، **فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: «أليس ذا الحجة ؟ قلنا: بلى. قال: فأى بلد هذا ؟» قلنا :** الله ورسوله أعلم، **فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: «أليس البلد الحرام ؟ قلنا :** بلى. **قال «فأى يوم هذا ؟» قلنا :** : الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . **فقال: «أليس يوم النحر ؟» قلنا :** بلى. **قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا.. فى بلدكم هذا.. فى شهركم هذا.. وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم.. ألا فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه»** .

ثم قال: ألا هل بلغت ؟ ألا هل بلغت ؟ قلنا: نعم.. قال: «اللهم اشهد» [1].

(بغير حق)

وعن خولة بنت عامر الأنصارية . . وهى امرأة حمزة (رضى الله عنهما) . . قالت : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : **إن رجالاً يتخوضون فى مال الله بغير حق «أى يتصرفون فيه» فلهم النار يوم القيامة»** [2].

(كما تدين تدان)

وعن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : **«لن يزال المؤمن فى فسحة من دينه مالم يصب دماً حراماً»** [3].

فاحرص أخى المسلم . . على الخير . . والعدل مع نفسك والناس . . وعامل الناس بما تحب أن تعامل به . . واعلم أنه كما تدين تدان . . **﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم.. فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾** [4].

قال تعالى : **﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾** [5].

وقال تعالي : **﴿ ما للظالمين من حميم ولاشفيع يطاع ﴾** [6].

وقال تعالى : **﴿ وما للظالمين من نصير ﴾** [7].

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى .
(٤) سورة النساء الآية ٩ .
(٥) سورة الشعراء الآية ٢٢٧ .
(٦) سورة غافر الآية ١٨ .
(٧) سورة الحج الآية ٧١ .

وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال :

«لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»[1] .

وعنه (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : **«من ضرب سوطاً ظلماً.. اقتص الله منه يوم القيامة»** .

(بصيرة المعلم)

ويروى أن كسرى اتخذ معلماً لولده، يؤدبه ويعلمه، فلما بلغ الولد الغاية من العلم والأدب . . والفضل والكرم . . أحضره أستاذه . . يوماً وضربه ضرباً موجعاً من غير ذنب ولاسبب . . فحقد الولد على المعلم . . إلى أن كبر الفتى . . ومات أبوه . . فتولى الفتى الملك خلفاً لأبيه . .

ولما جلس على العرش . . أمر بإحضار أستاذه كى ينتقم منه . . فجىء به . . وامتثل أمامه . . فقال له الملك : ماحملك على أن تضربنى فى يوم كذا ضرباً أوجعنى . . من غير ذنب وبلاسبب ؟ فقال له الأستاذ ببصيرة المربى : اعلم أيها الملك : أنك لما بلغت الغاية فى الفضل والأدب، علمت أنك تنال الملك بعد أبيك . . فأردت أن أذيقك طعم الضرب وألم الظلم . . حتى لاتظلم أحداً من رعيتك . . فيدعو عليك دعوة ليس بينها وبين الله حجاب . . فيذهب الله ملكك ويكبك فى النار . . فبكى الملك . . وقال له : جزاك الله خيراً . . جزاك الله خيرا . . جزاك الله خيراً . . ثم أمر له بجائزة . . وقربه منه . .

---

(١) رواه مسلم .

(هو فى النار)

ويقول الهادى البشير (صلى الله عليه وسلم) **كلمته المدوية فى سمع الزمان.. معرفاً المسلم فى كلمتين وجيزتين بليغتين: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.. والمهاجر من هجر مانهى الله عنه**[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) قال: كان على ثقل النبى (صلى الله عليه وسلم) رجل يقال له «كركرة» فمات.. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «هو فى النار» فذهبوا ينظرون إليه، فوجدوا عباءة قد غلها[2]. «والغلول هو الخيانة فى المغنم» وفى الحديث: تحريم الغلول كثيره وقليله.. فلنحذر الخيانة فإنها خزى فى الدنيا.. وهوان يوم القيامة.

(هدايا.. لكن محرمة)

كما أن الهدايا التى تقدم للعاملين بالحكومة.. غلول.. محرمة شرعاً.. لأنه لو جلس الواحد منهم فى بيت أبيه.. ما أهدى إليه شىء.. كما أخبرنا النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه استعمل رجلاً من الأزد يقال له: ابن اللتبيه على الصدقة، فلما قدم.. قال: هذا لكم.. وهذا أهدى إلى، فقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه.. ثم قال: «أما بعد.. فإنى أستعمل الرجل منكم على العمل.. مما ولانى الله.. فيأتى.. فيقول: هذا لكم.. وهذا هدية أهديت إلىّ، أفلا جلس فى بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته: إن كان صادقاً، والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه.. إلا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة.. فلا أعرفن أحداً منكم لقى

---

(١) متفق عليه.

الله يحمل بعيراً له رغاء (أى صوت) أو بقرة لها خوار . . أو شاة تبعر (البعار : صوت الشاة) ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه . . فقال : اللهم هل بلغت»[1] .

(حتى ولو كان شهيداً)

وعن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قال : لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبى (صلى الله عليه وسلم) فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد . . حتى مروا على رجل فقالوا : فلان شهيد : فقال النبى (صلى الله عليه وسلم) : **كلا إنى رأيته فى النار في بردة غلها**[2] .

من هنا نعلم أن الشهادة فى سبيل الله لا تنفع صاحبها . . إذا كان قد أخذ شيئاً بغير وجه حق . . فإن روح المؤمن محبوسة عن الجنة لحين أداء دينه ، وكان النبى (صلى الله عليه وسلم) إذا جىء له بميت كى يصلى عليه . . يسأل هل عليه دين ؟ فإن قيل عليه دين . . لم يصل عليه حتى يؤدى عنه دينه . . وإلا فلا يصلى عليه صلاته التى هى سكن وضياء . . للأمة . . والتى هى مفتاح الدخول إلى الجنة ! !

فقد سأله أحد أصحابه (صلى الله عليه وسلم) قائلاً : يارسول الله : أرأيت إن قتلت فى سبيل الله . . أتكفر عنى خطاياى ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

«نعم إن قتلت.. وأنت صابر محتسب.. مقبل غير مدبر، إلا الدين.. فإن جبريل قال لى ذلك»[3] .

---

(١) متفق عليه .

(٢) ، (٣) رواه مسلم .

(قطعة من النار)

إن الدين من حقوق العباد . . لامغفرة لها إلا بأدائها لأصحابها فى الدنيا . . أما الشهادة . . فإنها تكفر حقوق الله . . والله غفور رحيم . .

والنبى الخاتم . . يحذرك بقوله :

«من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه . . فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة، فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يارسول الله ؟ فقال : «وإن كان قضيباً من أراك» . (وهو الشجر الذى يستاك بأعواده) أى : **وإن كان عوداً من حطب**[1] .

وقد يكون الظالم لبقاً . . خبيثاً . . ذا حجة وبرهان . . يستطيع أن يظهر المظلوم أمام حكام الأرض ظالماً . . وأن يبرئ نفسه أمام الناس فى الدنيا . . ولكنه . . لن يستطيع أن يخفى هذا عن الناس يوم القيامة . . يوم الحسرة والندامة . . وسيفضحه الله أمام خلقه ويدخله النار . .

فعن أم سلمة (رضى الله عنها) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : **«إنما أنا بشر.. وإنكم تختصمون إلى.. ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض.. فأقضى له بنحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه، فإنما أقطع له قطعة من النار»**[2] .

(الخطبة السماوية)

وإليك هذه الخطبة السماوية، لرب البرية جل وعلا . . وهو ينادى عباده برحمة الخالق . . وحنان الواجد . . الغنى عنهم . . وهم الفقراء إليه . .

---

(1) رواه مسلم .

(2) متفق عليه .

الذى يمنحهم ويرزقهم وينفعهم . . والذى لاتضره معصيتهم، ولاتنفعه طاعتهم، والذى خيره إليهم نازل، وشرهم إليه صاعد . . والذين يأكلون خيره، ويعبدون غيره، والذى يمد يده إليهم بالليل ليتوب مسىء النهار، ويمد يده إليهم بالنهار ليتوب مسىء الليل . . ثم يدعوهم أن يعودوا إلى بابه، ليكتبهم من أحبابه . . ثم ينهاهم عن الظلم. لأنه عادل لايظلم، ويأمرهم بالرحمة والعدل . . مع أنفسهم ومع الناس . . واسمع إلى ربك وهو يناديك فى حديثه القدسى :

(ياعبـــادى)

ياعبادى: إنى حرمت الظلم على نفسى . . وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا .

ياعبادى: كلكم ضال إلا من هديته . . فاستهدونى أهدكم .

ياعبادى: كلكم جائع إلا من أطعمته . . فاستطعمونى أطعمكم .

ياعبادى: كلكم عار إلا من كسوته . . فاستكسونى أكسكم .

ياعبادى: إنكم تخطئون بالليل والنهار . . وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفرونى أغفر لكم .

ياعبادى: إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى . . ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى .

ياعبادى: لو أن أولكم وآخركم . . وإنسكم وجنكم . . كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم . . مازاد ذلك فى ملكى شيئاً .

ياعبادى: لو أن أولكم وآخركم . . وإنسكم وجنكم . . كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم . . مانقص ذلك من ملكى شيئاً .

ياعبادى: لو أن أولكم وآخركم . . وإنسكم وجنكم . . قاموا فى صعيد واحد، فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته، مانقص ذلك مما عندي . . إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر .

ياعبادى: إنما هى أعمالكم . . أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها . . فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك . . فلا يلومن إلا نفسه .

(وصـــية)

أما بعد أخى المسلم . . أختى المسلمة . . فأوصيكما وإياى بتقوى الله . . والعمل على رضاه . . فهذا الحديث . . جوهرة الأحاديث . . فاعملا به واعملا لله . . يكفيكما ماسواه . . فلقد كان أبو أدريس إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه، وكان الأئمة (رضوان الله عليهم) إذا سمعوه . . منهم من سجد من هيبة الله، ومنهم من بكى حياء من الله، ومنهم من خر من خشية الله . ﴿ **إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير** ﴾[1] .

---

(١) سورة الملك الآية ١٢ .

الأذان والمؤذنون

(*) (الجفاء كل الجفاء .. والكفر والنفاق .. من
سمع منادى الله ينادى حى على الفلاح
ولا يجيبه)[1]

(*) (المؤذنون أطولكم أعناقا يوم القيامة)[2]

حديث شريف

(*) (كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
يكلمنا ونكلمه .. ويداعبنا ونداعبه .. فإذا
أذن المؤذن فلا يعرفنا ولا نعرفه)[3]

من حديث عائشة (رضى الله عنها)

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه أحمد والطبرانى .
(٣) متفق عليه





﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ﴾[1] .

الله أكبر . . الله أكبر . . الله أكبر . . الله أكبر . . أشهد أن لا إله إلا الله . . أشهد أن لا إله إلا الله . . أشهد أن محمداً رسول الله . . أشهد أن محمد رسول الله . . حى على الصلاة . . حى على الصلاة . . حى على الفلاح . . حى على الفلاح . . الله أكبر . . الله أكبر . . لا إله إلا الله . .

إنه أسمى نداء فى هذا الملكوت . . وأعلى نداء . . وأقوى دعاء . . إنه نشيد الإيمان . . فى كل زمان ومكان . . شذى على كل قلب ولسان . . يهتف به هؤلاء الدعاة «المؤذنون» دعوة حب . . وبطاقة بشرى للمسلمين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم . .

هذا هو المؤذن . . فماذا أعد الله له ؟

يقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) :-

«لو يعلم الناس مافى الأذان.. لتضاربوا عليه بالسيوف»[2] .

ويقول ابن مسعود (رضى الله عنه) : «تركنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونحن نتجاذب بالسيوف من أجل الأذان» .

فما إن رفع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يديه وقال : **«اللهم اغفر للمؤذنين»** .

إلا وتمنى كل الصحابة أن يكونوا مؤذنين . . حتى أن عمر بن الخطاب . . الإمام العادل الذى قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . . **«لو أن نبياً بعدي لكان عمر» «لو نزل عذاب من السماء مانجا إلا عمر» «أنت سراج أهل الجنة ياعمر»** .

---

(١) سورة التوبة الآية ١٨ .

(٢) رواه أحمد .

حتى هذا الصنديد الأواب . . يقول . . وهو يبكى . .

«لو كنت من المؤذنين لاكتمل أمرى» . .

إن الفاروق عمر بن الخطاب . . مازال يرى . . أن أمره لم يكتمل بعد . . طالما أنه ليس فى زمرة المؤذنين .

ويقول (رضى الله عنه) : «لو خيرونى بين الأذان والإمامة لاخترت الأذان» ولاغرو فى هذا . . فقد رافق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسمعه وهو يثنى عليهم بين الحين والحين بقوله :

«المؤذنون أطولكم أعناقاً يوم القيامة»[1] .

وقوله (صلى الله عليه وسلم) :

«المؤذن يغفر له مد صوته، وأجره مثل أجر من صلى معه»[2] .

وقوله (صلى الله عليه وسلم) :

«يد الرحمن فوق رأس المؤذن، وإنه ليغفر له مدي صوته أين بلغ»[3] .

وعن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

«يغفر للمؤذن منتهى أذانه، ويستغفر له كل رطب ويابس سمعه»[4] .

وقد روى البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه : عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه الطبرانى .
(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط .
(٤) رواه أحمد .

«إنه لايسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة»

وعن البراء بن عازب (رضى الله عنه) أن نبى الله (صلى الله عليه وسلم) قال:

«إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدم.. والمؤذن يغفر له مدى صوته.. وصدقه من سمعه من رطب ويابس وله أجر من صلى معه»[١].

وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) . . قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **«الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن، اللهم ارشد الأئمة، واغفر للمؤذنين»**[٢].

وعن جابر (رضى الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:

«إن المؤذنين والملبين يخرجون من قبورهم، يؤذن المؤذن، ويلبى الملبي»[٣].

أى أن المؤذن يبعث يوم القيامة وهو يؤذن. . والملبى الذى يموت وهو يلبى يبعث يوم القيامة وهو يلبى. . لبيك اللهم لبيك.

ومن أجمل الأحاديث التى تبين فضل المؤذن، مارواه عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما): أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: **«ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة.. يغبطهم الأولون والآخرون:**

*** عبد أدى حق الله وحق مواليه.. أي: لم يشغله عمله عن حقوق الله عليه.**

*** ورجل أم قوماً وهم به راضون.**

*** رجل ينادى بالصلوات الخمس فى كل يوم وليلة»**[٤].

---

(١) رواه أحمد والنسائى. (٢) رواه أبو داود والترمذى وابن خزيمة وابن حبان.
(٣) رواه الطبرانى. (٤) رواه أحمد والترمذى.

وعن أنس (رضى الله عنه) قال: سمع النبى (صلى الله عليه وسلم) رجلاً وهو فى مسير له «أى فى بعض أسفاره» يقول: الله أكبر.. الله أكبر.. فقال: نبى الله (صلى الله عليه وسلم): **على الفطرة «أى على دين الله»** فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلا الله.. قال الرسول (صلى الله عليه وسلم): **«خرج من النار»**.

يقول أنس (رضى الله عنه) فأسرعنا إلى الرجل الذى بشره الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالجنة.. فإذا به راعى غنم حضرته الصلاة فقام يؤذن[1].

ويروى أبو هريرة (رضى الله عنه) قال:

كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقام بلال يؤذن.. فلما فرغ من الأذان قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): من قال مثل هذا يقيناً دخل الجنة[2].

هذا ويستحب الأذان لمن حضرته الصلاة منفرداً.. لقوله (صلى الله عليه وسلم): يعجب ربك من راعى غنم على رأس شظية للجبل يؤذن بالصلاة، ويصلى، فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدى هذا، يؤذن ويقيم الصلاة، يخاف منى، قد غفرت لعبدى وأدخلته الجنة[3].

وذات يوم مر أبو سعيد الخدرى (رضى الله عنه) على راعى غنم فقال له: إنى أراك تحب الغنم والبادية.. فإذا كنت فى غنمك أو باديتك فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالأذان، فإنه لايسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولاشىء، إلا شهد له يوم القيامة[4].. وقال أبو سعيد الخدرى سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

---

(١) رواه مسلم وابن خزيمة.
(٢) رواه النسائى وابن ماجه.
(٣) رواه أبو داود والنسائى.
(٤) رواه مالك والبخارى والنسائى.

(عمل يدخلني الجنة)

وروى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : جاء رجل إلى النبى (صلى الله عليه وسلم) فقال : علمنى أو دلنى على عمل يدخلنى الجنة : **قال: كن مؤذناً.. قال لا أستطيع .. قال: كن إماما.. قال لا أستطيع، فقال: فقم بإزاء الإمام**[1] .

وروى ابن عمر (رضى الله عنهما) . قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

المؤذن المحتسب.. كالشهيد المتشحط فى دمه «أى المتضرج فى دمه» يتمنى على الله مايشتهى بين الأذان والإقامة[2] .

ولكى نعلم درجة المؤذن عند الله ودرجة قربه من معيته . . ماوراه أنس بن مالك (رضى الله تعالى عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : **لو أقسمت لبررت أى أن النبى يقسم وهو الصادق الأمين - البار فى حلفه، إن أحب عباد الله إلى الله لرعاة الشمس والقمر «يعني المؤذنين» الذين يترقبون أوقات الصلاة فيكثرون من مراقبة الشمس بالنهار والقمر والكواكب بالليل ليعرفوا منها أوقات الصلاة وإنهم ليعرفون يوم القيامة بطول أعناقهم**[3] .

كما أن الأذان بركة تحل بالمكان الذى يرفع فيه، فقد جاء فى الكبير من حديث معقل بن يسار قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : **أيما قوم نودى فيهم بالأذان صباحاً إلا كانوا فى أمان الله حتى يمسوا، وأيما قوم نودى فيهم بالأذان مساء إلا كانوا فى أمان الله حتى يصبحوا**[4] .

---

(١) رواه البخارى فى تاريخه والطبرانى فى الأوسط
(٢) رواه الطبرانى .
(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط .
(٤) رواه الطبرانى

كما روى عن جابر (رضى الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) **يقول: إن الشيطان إذا سمع النداء «أى الأذان» بالصلاة ذهب حتى يكون مكان الروحاء. قال الراوى: والروحاء من المدينة على ستة وثلاثين ميلا**[1].

وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **إذا نودى بالصلاة أدبر الشيطان (أى ولى هاربا) وله ضراط حتى لايسمع الأذان، فإذا قضى الأذان أقبل، فإذا ثوب أدبر، فإذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول: أذكر كذا، أذكر كذا.. لما لم يكن يذكر من قبل.. حتى يظل الرجل مايدرى كم صلى**[2].

ولهذا ينبغى على المسلم أن يلتزم بهذا. . وأن يلزم هذا ماصلى منفرداً. . وأن يقيم الصلاة ماكان منفرداً. . حتى نطرد الشيطان من كل أوقاتنا وحركاتنا وسكناتنا.

ومن أعظم الأحاديث التى تبشر بالخير والبركة. . ماجاء عن سلمان الفارسى (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

إذا كان الرجل بأرض - فحانت الصلاة - فليتوضأ، فإن لم يجد ماء فليتيمم، فإن أقام صلى معه ملكان «أى إن أقام الصلاة - صلى معه الملكان الموكلان به.. لكتابة حسناته وسيئاته» وإن أذن وأقام صلى خلفه من جنود الله مالايرى طرفاه[3]. **أى مالايمكن رؤية أولهم من آخرهم ﴿ ومايعلم جنود ربك إلا هو﴾**[4].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مالك والبخارى ومسلم.

(٣) رواه عبد الرزاق عن التميمى.

(٤) سورة المدثر الآية ٣١.

(إجابة المؤذن)

إن إجابة المؤذن - حب لمن يؤذن له - كما أن حب الرسول - حب للمرسل . . واحترام الرسول . . احترام لمن أرسله . . سبحانه وتعالى . .

لهذا فإن إجابة المؤذن . . إحترام لصاحب الأذان جل شأنه . .

وعدم الاكتراث بالأذان، عدم اكتراث بالله عز وجل . . لهذا . . فلا يجوز اللهو مطلقا والأذان . . يؤذن . . ولايجوز الكلام مطلقاً والأذان يرفع . . وإلا كنا من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ **وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا** ﴾[1].

وإنما ينبغى أن نجيب الأذان . . هذا النداء الذى يحلق فى الآفاق حى على الصلاة . . حى على الصلاة . . فلاننشغل عنه بكلام أو لهو أو غير ذلك .

ولنعلم جميعاً . . أن الكلام والأذان يرفع . . مورث لسوء الخاتمة .

﴿ **ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به، يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ، ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء، أولئك فى ضلال مبين** ﴾[2].

(كيفية الإجابة)

وكيفية الإجابة ؟ مارواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : أنه سمع النبى (صلى الله عليه وسلم) يقول : إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل

(١) سورة المائدة ٥٨ .
(٢) سورة الأحقاف الآيتان ٣١، ٣٢ .

مايقول، ثم صلوا على، فإنه من صلى على صلاة.. صلى الله عليه بها عشرا.. ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لاتنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لى الوسيلة، حلت له الشفاعة»[1] .

وعن عمر بن الخطاب (رضى الله تعالى عنه) قال: قال رسول (صلى الله عليه وسلم): **إذا قال المؤذن: الله أكبر.. الله أكبر.. فقال أحدكم: الله أكبر.. الله أكبر.. ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله. قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله قال: أشهد أن محمداً رسول الله، ثم قال: حى على الصلاة، قال: لاحول ولاقوة إلا بالله، ثم قال: حى على الفلاح، قال: لاحول ولاقوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر.. الله أكبر، قال: الله أكبر.. الله أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله. قال: لا إله إلا الله.. من قلبه.. دخل الجنة**[2].

وعن جابر بن عبد الله (رضى الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: **من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته.. إنك لاتخلف الميعاد، حلت له شفاعتى يوم القيامة**[3].

وعن سعد بن أبى وقاص (رضى الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: **من قال حين يسمع المؤذن.. وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبالإسلام دينا، وبمحمد (صلى الله عليه وسلم) نبياً ورسولاً.. غفر الله له ذنوبه**[4].

ويقول (صلوات الله وسلامه عليه) :

---

(١) رواه مسلم .   (٢) رواه مسلم وأبو داود والنسائى .
(٣) رواه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والبيهقى .
(٤) رواه مسلم والترمذى والنسائى .

من سمع المؤذن فقال: مثل مايقول فله مثل أجره[1] . **وفي رواية أخرى من قال مثل مقالته، وشهد مثل شهادته.. فله الجنة .**

وعن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) قال: جاء رجل إلى النبى (صلى الله عليه وسلم) وقال: يارسول الله إن المؤذنين يفضلوننا . . فقال الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم): **قل كما يقولون، فإذا انتهيت.. فسل تعطه**[2] .

(دخول وقت الصلاة)

وإذا أذن المؤذن . . فقد دخل وقت الصلاة . . فلا يشغلنا شاغل عنها أياً كان . . فلا بركة فى عمل إذا دخل وقتها سواها . . ولابركة فى عمل يلهى المرء عن الصلاة .

﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا ﴾[3] .

يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **عندما رأى رجلاً يخرج من المسجد بعد أن أذن المؤذن: أما هذا فقد عصى أبا القاسم (صلى الله عليه وسلم) : ثم قال: إذا كنتم في المسجد فنودى بالصلاة، فلا يخرج أحدكم حتى يصلي**[4] .

وعن عثمان بن عفان (رضى الله تعالى عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : **من أدركه الأذان فى المسجد، ثم خرج لم يخرج لحاجة «أى قضاء حاجة.. أو وضوء» وهو لايريد الرجعة.. فهو منافق**[5] . وفى رواية أخرى . .

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير . (٢) رواه أبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه .
(٣) سورة النساء الآية ١٠٣ .
(٤) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه . (٥) رواه ابن ماجه .

«لايخرج من المسجد أحد بعد النداء إلا منافق، إلا لعذر أخرجته حاجة، وهو لايريد الرجوع»[1].

(دعوة مستجابة بين الأذان والإقامة)

عن أنس (رضى الله تعالى عنه) : أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : **الدعاء بين الأذان والإقامة لايرد فادعوا.. قالوا: فماذا نقول يارسول الله ؟ قال: سلوا الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة**[2].

وعن سهل بن سعد (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : **ساعتان تفتح فيهما أبواب السماء، وقلما ترد على داع دعوته** :

عند حضور النداء «أى الأذان» والصف فى سبيل الله[3].

نسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة .

وإجمالاً لما سبق . . فى فضل الأذان والمؤذن . . أورد هنا بعض مايضع أيدينا على هذه الخيرات فى يسر . . ودون عناء . . إظهارا لفضل الأذان، وإكراما للمؤذن الذى به وبالأذان . . تحقن الدماء . . ويعم السلام . . والرخاء . .

فقد ورد أن النبى (صلى الله عليه وسلم) كان إذا أغار على قوم أمهلهم ثلاثاً . . فإذا سمع أذانا . . كف عنهم . . وإن لم يسمع أذانا . . أغار عليهم . . وذلك لهيبة الأذان . . كشعيرة من شعائر الإسلام الكبرى التى توحى بالسماحة والسلام .

---

(١) رواه أبو داود . (٢) رواه أبو داود والنسائى والترمذى .
(٣) رواه أبو داود وابن خزيمة وابن حبان .

ومايروى من أن صحابياً من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تغيب يوماً عن الصلاة فى عهد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فذهب إليه (رضى الله عنه) فى كوكبة من الصحابة رضوان الله عليهم لزيارته والاطمئنان عليه، ومعرفة الأسباب التى منعته عن الصلاة فى مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ؟ وما إن طرق عمر بن الخطاب الباب منادياً عليه، وقال أنا عمر بن الخطاب ! حتى فزع الرجل وصاح : لبيك أمير المؤمنين . . فقال له عمر (رضى الله عنه) فى تقريع خاشع . . أيناديك عبد الله - عمر بن الخطاب فتجيبه . . والله يناديك من فوق سبع سموات فلا تجيبه ؟!!

وكان الرجل مريضاً . . فأشفق عليه عمر . . وعلم أنه لايمنعه من إجابة النداء إلا المرض . . أو السفر . . وهكذا كان حال صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى حياتة وفى مماته .

(بشـــرى)

يروى أن زبيدة (رضى الله عنها) بعد أن ماتت جاءت لأحد الصالحين فى المنام فرآها فى نعيم مقيم . . فى ثياب خضر من سندس كأجمل ما تكون، ويحف بها النور من كل مكان . . وقد جلست على أريكة من ذهب خالص . . وحولها الحور، والكافور، والزعفران . .

فقال لها الرجل الصالح . . بم نلت هذه المنزلة . . ياسيدتى زبيدة ؟

قالت : (رضى الله عنها) : كنت يوماً أجلس أنا وجوارى لى وصو يحبات عندى فى انشراح وطرب، فسمعت المؤذن حين بدأ بالتكبير، فأسكتهن هيبة وتعظيماً لله تعالى إلى أن فرغ الأذان . . فأعطانى الله تعالى ماتراه بذلك . .

(خبر الأذان)

قال ابن إسحاق: فلما اطمأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين، واجتمع أمر الأنصار، استحكم أمر الإسلام، فقامت الصلاة، وفرضت الزكاة والصيام، وقامت الحدود، وفرض الحلال والحرام، وتبوأ الإسلام بين أظهرهم، وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان. وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها، بغير دعوة. فهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين قدمها أن يجعل بوقا كبوق اليهود الذين يدعون به لصلاتهم، ثم كرهه، ثم أمر بالناقوس، فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة.

فبينما هم على ذلك، إذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه، أخو بلحارث بن الخزرج، النداء، فأتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال له: يارسول الله، إنه طاف بى هذه الليلة طائف: مربى رجل عليه ثوبان أخضران، يحمل ناقوساً فى يده، فقلت له: ياعبد الله، أتبيع هذا الناقوس؟ قال: وماتصنع به؟ قال: قلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ قال: قلت: وماهو؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حى على الصلاة، حى على الصلاة، حى على الفلاح، حى على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

فلما أخبر بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: إنها لرؤيا حق، فلما أذن بها بلال، سمعها عمر بن الخطاب، وهو فى بيته، فخرج إلى رسول

الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يجر رداءه وهو يقول : يانبى الله ، والذى بعثك بالحق ، لقد رأيت مثل الذى رأي ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : فلله الحمد على ذلك .

(أذنوا للصلاة)

قال ابن إسحاق : حدثنى بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن محمد بن عبد الله بن زيد ، قال ابن هشام : وذكر ابن جريج ، قال : قال لى عطاء : سمعت عبيد بن عمر الليثى يقول : ائتمر النبى (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة ، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشترى خشبتين للناقوس ، إذ رأى عمر بن الخطاب فى المنام : لاتجعلوا الناقوس ، بل أذنوا للصلاة .

فذهب عمر إلى النبى (صلى الله عليه وسلم) ليخبره بالذى رأي ، وقد جاء النبى (صلى الله عليه وسلم) الوحى بذلك ، فما راع عمر إلا بلال يؤذن ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين أخبره بذلك : قد سبقك الوحى بذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، أن امرأة من بنى النجار ، قالت : كان بيتى من أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة ، فيأتى بسحر ، فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه تمطي ، ثم قال : اللهم إنى أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا على دينك ، قالت : والله ماعلمته كان يتركها ليلة واحدة .

(الشخصية الإسلامية والأذان)

حرص الرسول الكريم منذ بعثه الله بالهدى ودين الحق . . أن يكون للمسلمين شخصية إسلامية فريدة . . نابعة من الدين الخاتم دين الإسلام . . فلا يأخذون من نصارى ولا يهود ولا مجوس . . وإنما يكون منبعهم الأول ومنهجهم الصافي . . هو كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) فقال لهم (صلى الله عليه وسلم) : لاتتشبهوا باليهود ولابالنصارى . . . الخ

ولقد أنزل فيهم كتاب حكيم لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه . . قال فيه الله تبارك وتعالي : ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شيء ﴾[1] .

فعندما أراد المسلمون فى أول الدعوة أن يتخذوا شيئاً للاجتماع إلى الصلاة . . ذكروا للرسول (صلى الله عليه وسلم) : النار ، والبوق ، والناقوس ، ولكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كره هذه جميعاً . . وقال :

النار للمجوس : وكانوا يشعلونها حتى يجتمع عبادها عليها .

البوق لليهود : وكانوا يجتمعون به فى معابدهم .

والناقوس للنصاري : وكانوا يجتمعون عليه فى كنائسهم .

وكان الرسول يناجى ربه . . كعهده دائما يسأل مولاه لأمته الخير أينما كان . . مثلما ناجاه . . فى تحويل القبلة . . . ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾[2] .

---

(١) سورة الأنعام الآية ٣٨ .

(١) سورة البقرة الآية ١٤٤ .

واستجاب الله ولم يجعل للمسلمين بوقاً ولا ناقوسا ولانارا فى تجميع المسلمين للصلاة . . وألقى فى روع سبعة من الصحابة كلمات الأذان الخالدة . . فرأى عبد الله بن زيد الأذان فى منامه ورأى عمر بن الخطاب ونفر من الصحابة مارأى عبد الله بن زيد . . ونزل الوحى على الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالأذان . . لتكون للمسلمين شخصيتهم المستقلة وشعائرهم الخالدة الحرة لله وحده لاشريك له .

«فأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يؤذن بلال وأن يشفع الأذان وأن يوتر الإقامة» أى يكون الأذان مثنى مثني : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر . . أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله . . إلخ وأن تكون الإقامة وترا : الله أكبر الله أكبر . . أشهد أن لا إله إلا الله . . أشهد أن محمداً رسول الله . . حى على الصلاة . . حى على الفلاح . . قد قامت الصلاة . . قد قامت الصلاة . . الله أكبر الله أكبر . . لا إله إلا الله . . »

كما أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو الذى أمر عبد الله بن زيد صاحب رؤيا الأذان أن يعلمه بلال بن رباح . . بقوله (صلى الله عليه وسلم) : **علمه بلالاً فإنه أندى منك صوتاً .**

فلا بد أن يكون الأذان قوياً حسناً . . خاشعاً . . حتى يقع فى القلوب قبل أن يقع فى الأسماع . . فتستقبله الحواس والجوارح . . استقبال الظمآن للماء .

وكان عمر بن عبد العزيز (رضوان الله عليه) يقول لمؤذنه :

أذن أذانا سمحا وإلا فاعتزلنا . .

(شروط يجب توافرها فى المؤذن)

ليس كل من أذن صار مؤذناً . . لا . . إنما المؤذن من يملأ الأذان قلبه وسمعه، فهو يؤذن بقلبه قبل لسانه . . ويخشى الله فى سره وإعلانه . . حتى يكون جديراً بهذه الشعيرة الكبيرة وبالأجر العظيم الذى ينتظر المؤذن يوم القيامة . . **﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾**(1).

لهذا ينبغى أن تتوافر فى المؤذن . . الداعى إلى الله . . ورسوله إلى الصلاة . . كل يوم خمس مرات . . الشروط التى تؤهله لهذا الشرف الرفيع والمجد المنيع . . ومن هذه الشروط :

(*) أن يكون رجلاً ورعاً يضفى على هذه الشعيرة من الوقار والجلال مايليق بها كشعيرة من شعائر الإسلام الكبرى .

(*) ألا يغشى أماكن اللهو التى تفقده الهيبة والسكينة . . حتى يطمئن إليه المسلمون ويجيب الناس نداءه فتنجح دعوته فى الأرض . . ويقبل نداؤه فى السماء .

(*) أن يكون حسن الصوت . . قوياً . . بعيداً عن التلحين .

(*) أن يكون متوضئاً وهو يؤذن . . لأنه لايجوز أن يدعو الناس إلى الصلاة . . وهو غير مستعد لها . . **﴿ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾**(2).

(*) أن يكون مستقبلاً القبلة .

(*) أن يؤذن من فوق سطح المسجد أو على باب المسجد . . ولم يرد إلينا جواز الأذان فى المحراب . . . مطلقا . .

---

(1) سورة الحج الآية ٣٢ .   (2) سورة الصف الآية ٢ .

(*) ألا يدخل على الأذان ماليس منه . . وألا ينقص منه ماهو فيه . . فيحرم عليه الزيادة والنقصان .

فالأذان شعيرة الله . . كلماته خمس عشرة كلمة . . أوله الله أكبر وآخره لا إله إلا الله . . فأوله الله . . وآخره الله . . فمن زاد على هذا أو نقص فقد أسرف وظلم .

كيفية الصلاة على النبى (صلى الله عليه وسلم) بعد الأذان

أما الصلاة على النبى (صلى الله عليه وسلم) بعد الأذان . . فهى للمؤذن والمستمع . . بعد أن ينتهى المؤذن من أذانه . . وليست كما يفعل بعض مؤذنى هذا الزمان، من جعلها ضمن الأذان، فيرفع المؤذن صوته بالصلاة والتسليم . . وهذا من بدع الأذان المخالفة لهدى النبى (صلى الله عليه وسلم) . .

ولم يحدث فى عهد النبى (صلى الله عليه وسلم) هذا ولم يحدث فى عهد الصحابة رضوان الله عليهم . . ولسنا أكثر حباً للنبى (صلى الله عليه وسلم) من هؤلاء الأصحاب الأجلاء. ولقد كان للنبى (صلى الله عليه وسلم) أربعة من المؤذنين، لم يثبت عن واحد منهم أنه سبق أذانه بكلمة زائدة أو ألحق به كلمة زائدة. والخير فى الاتباع والشر فى الابتداع، ﴿**اتبع ما أوحى إليك من ربك**﴾[1] .

(١) سورة الأنعام الآية ١٠٦ .

فهل كان النبى (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه على نقص فى الدين فجاء هؤلاء وأكملوه ؟ أم أن هؤلاء المبتدعين أحب إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأقرب من أصحابه الطاهرين وخلفائه الراشدين ؟

(شطط فى فتوى)

إن مقام[1] رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فوق كل مقام لايشك فى هذا مسلم، والصلاة والسلام عليه من أجل القرب إلى الله تعالى ومن عوامل الرضوان الأكبر، والفتح الرباني، لايستريب فى هذا معترف برسالته، محب لطاعته، مؤمل فى شفاعته، ولكن محل الفتوى فى تخصيص بعض الأزمنة أو بعض الأماكن، أو بعض المناسبات، بشىء من العبادة والشعائر، على وجه الدوام، باسم القربة والطاعة للمشرع بنسبة ذلك إليه، فيجب ترك المطلق على إطلاقه، مالم يصطدم بعمل كان فى الصدر الأول أيام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتابعيه، وكان هذا العمل محددا بزمان ومكان . . وصيغة لها كلمات معدودة، تبدأ بكذا وتنتهى بكذا، فإذا لم يلحق بها السلف الصالح كلمات أو يسبقوها بكلمات، أصبحت كما هى شرع الله الذى لايصح الزيادة عليه ولا النقص منه، وإلا لو جوزنا الجهر بالصلاة بعد الأذان مماهو موضوع السؤال والفتوى بحجة إطلاق الآية، فقد فتحنا باباً لكل مطلق فى الدين ليقتحم على المقيد قبله أو بعده، فتضيع الحدود، وتشيع النصوص، ولايدرى المسلم مع طول العهد أيها الأصل وأيها الدخيل، فعلى قاعدة استعمال المطلق بإطلاق . . دون مراعاة المقيدات من الممكن أن يزيد زائد فى عدد الركعات للصلوات بحجة إطلاق

(١) للإمام عبد اللطيف مشتهرى .

حديث (الصلاة خير موضوع فاستكثر أو أقل) وغيره من الآيات والأحاديث المطلقة، أو يزيد فى غسل أعضاء الوضوء فيزيد عضوا مثلاً، وتسرى هذه البدعة إلى بقية شعائر الدين المنقولة إلينا والمحددة بأول وآخر وزمان ومكان وصيغة . . ولا شك أن الأذان من شعائر الإسلام، كان يؤذن به خمس مرات فى اليوم والليلة على مسمع ومرأى من الصحابة والتابعين وكان للرسول (صلى الله عليه وسلم) أربعة من المؤذنين، لم يثبت عن واحد منهم أنه سبق أذانه بكلمة زائدة أو ألحق به كلمة زائدة، فالكل مجمع على أن أول الأذان كلمة «الله أكبر» وآخره كلمة «لا إله إلا الله» وكل خير فى اتباع من سلف، وكل شر فى ابتداع من خلف، ولقد اعترف العلماء أن هذه الزيادة حدثت فى آخر القرن الثامن، فهل كانت القرون الثمانية السابقة على نقص فى دين الله فجاء هؤلاء فأكملوه ؟ وهل هؤلاء الزائدون المبتدعون أحب إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأقرب من صحبه الأطهار، وخلفائه الراشدين، الذين مازادوا فى الأذان ولانقصوا ؟

وأغلب الظن أن مجاراة الناس فى هذه البدعة أساسها الخوف من ألسنة الخلق أن يتهموا العالم ببغض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فمضطر أن يرغبهم فيما هم عليه مما هو فى ظاهره طاعة وفى لبه وحقيقته إحداث فى الدين، لقد سمع ابن عمر مشيعاً فى الجنازة يقول: استغفروا لأخيكم، فقال ابن عمر (رضى الله عنه): اسكت لاغفر الله لك، مع أنه لم يأمرهم إلا بخير وعموم نصوص الإسلام تقتضى استغفار المسلم لأخيه، ولكنها البدعة الإضافية، التى تندرج مشروعيتها فى عموم النصوص، ولكن تمنع فى بعض الأزمنة والأمكنة والشعائر، لورودها محددة دونها، وفى الحديث (صلوا كما رأيتمونى أصلى) فنحن مكلفون بالاتباع .

ولقد كانت الآراء قبل مشروعية الأذان على الوجة الحالى مبعثرة مابين راية تنصب أو ناقوس يدق، أو نفير يضرب، أو نار توقد، حتى جاء الوحى مناما ويقظة فحدد كلماته وكلمات الإقامة، وأجمعت عليها الأمة فقهاً وعملاً، حتى جاء الفارغون، الذين يريدون تعويض مافاتهم وفات الأمة من السلوك الطيب والجهاد المرير، بإظهار محبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بشعارات وكلمات لاتقدم مؤخراً، ولاتنصر وطناً، ولو صدقوا فى المحبة، لقاموا ببقية واجبات الدين، ولأعلنوها حرباً شعواء على مدمرات الأخلاق وسيئات الأعمال «اتق المحارم تكن أعبد الناس» والعبادة لابد فى صحتها من رضا المعبود وتشريعه لها، وإلا لكانت افتياتا وتقديماً بين يدى الله ورسوله .

قال فى إرشاد الحق إلى دين الحق (الدين الخالص) جـ ٢ ص ٧٤

من بدع الأذان رفع الصوت بالسلام والصلاة بعده كما جرت به عادة غالبى مؤذنى الزمان، فهو بدعة مخالفة لهدى النبى (صلى الله عليه وسلم) فينبغى تركها والاقتصار على الوارد .

فإن كل محدثة بدعة مردودة على صاحبها لاثواب فيها، بل إذا فعله على أنه قربة كان آثماً، لأن الله تعالى إنما يعبد بما شرع لابما ابتدع، وفى الحديث: «من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد» وفى رواية لمسلم: من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد، وقال الإمام مالك (رضى الله عنه): «من أحدث فى هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) خان الدين، لأن الله تعالى يقول ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ فمالم يكن حينئذ دينا لم يكن اليوم دينا» وقال الشافعي: «من حَسَّنَ فقد شرع» ونحوه عن باقى الأئمة وهذه الصلاة لم تكن فى زمنه (صلى الله

عليه وسلم) ولا في زمن أصحابه، ولا زمن السلف الصالح، وماقال باستحسانها أحد من الأئمة المجتهدين، ومن قال باستحسانها من متأخرى المقلدين، فقوله مردود عليه بهذه الأحاديث الصحيحة، لأن شرط الاستحسان: ألا يكون مصادرا لما كان عليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصحبه، فضلا عن كون المقلد لا يصح منه التحسين، ولذا حذر العلماء وعلماء المذاهب خاصة من ارتكاب هذه البدعة ونحوها، قال ابن الحاج في المدخل «يطلب من إمام المسجد أن ينهى المؤذنين عما أحدثوه من صفة الصلاة والتسليم على النبى (صلى الله عليه وسلم) عند الأذان، وإن كانت الصلاة والتسليم على النبى (صلى الله عليه وسلم) من أكبر العبادات، ولكن ينبغى أن يسلك بها مسلكها، فلا توضع إلا فى مواضعها التى جعلت لها، ألا ترى أن قراءة القرآن من أعظم العبادات، ومع ذلك لايجوز للمكلف أن يقرأه فى الركوع ولا فى السجود ولا فى الجلوس للصلاه، لأن ذلك لم يرد، والخير كله فى الاتباع، وهى بدعة قريبة الحدوث جداً» أ هـ ملخصاً.

وقال ابن حجر الهيثمي: «قد أحدث المؤذنون رفع الصوت بالصلاة والسلام على النبى (صلى الله عليه وسلم) عقب الأذان فى الفرائض الخمسة.. إلى أن قال: وقد استفتى مشايخنا وغيرهم فى الصلاة والسلام على النبى (صلى الله عليه وسلم) بعد الأذان عن الكيفية التى يفعلها المؤذنون فأفتوا بأن الأصل سنة والكيفية بدعة» أ هـ ملخصاً، وقال الشعرانى نقلاً عن شيخه «لم يكن التسليم الذى يفعله المؤذنون فى أيامه (صلى الله عليه وسلم) ولا الخلفاء الراشدين بل كان فى أيام الروافض بمصر» أ هـ وقد سئل الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى إفادة عن

مديرية المنوفية فى ٢٤ مايو ١٩٠٤م رقم ٧٦٥ عن مسائل منها: مااشتهر من الصلاة والسلام على النبى (صلى الله عليه وسلم) عقب الأذان فى الأوقات الخمس إلا المغرب فأجاب بقوله :

«أما الأذان فقد جاء فى الخانية أنه ليس لغير المكتوبات، وأنه خمس عشرة كلمة، وآخره عندنا (لا إله إلا الله) ومايذكر بعده أو قبله كله من المستحدثات المبتدعة . . .

ابتدعت للتلحين لالشىء آخر، ولايقول أحد بجواز هذا التلحين ولاعبرة بقول من قال: أن شيئاً من ذلك بدعة حسنة لأن كل بدعة فى العبادات على هذا النحو فهى سيئة، ومن ادعى أن ذلك ليس فيه تلحين فهو كاذب» أ هـ .

وقال العلامة المقريزى فى كتابه الخطط «وأما مصر فلم يزل الأذان بها على مذهب القوم إلى أن استبد السلطان «صلاح الدين يوسف بن أيوب» بسلطنة ديار مصر سنة ٥٦٧ هـ فأبطل من الأذان قول (حى على خير العمل) وصار يؤذن فى مصر والشام بأذان أهل مكة وفيه تربيع التكبير، وترجيع الشهادتين، إلى أن انتشر مذهب أبى حنيفة (رضى الله عنه) فى مصر، فصار يؤذن بأذان أهل الكوفة، إلا أنه فى ليلة الجمعة إذا فرغ المؤذنون من التأذين سلموا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهوشىء أحدثه «صلاح الدين عبد الله بن عبد الله البرلسى» بعد سنة ٧٦٠ هـ وفى شعبان سنه ٧٩١ هـ فى عهد «الملك الصالح المنصور أمير حاج» سمع بعض الفقراء الخلاطين سلام المؤذنين على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى ليلة الجمعة، وقد استحسن ذلك طائفة من إخوانه فقال لهم: أتحبون أن يكون هذا السلام فى كل أذان ؟ فقالوا نعم، فبات وأصبح متواجداً يزعم أنه رأى رسول الله

(صلى الله عليه وسلم) فى منامه، وأمره أن يذهب إلى المحتسب ويبلغه عنه أنه يأمر المؤذنين بالسلام على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى كل أذان، فمضى إلى نجم الدين محمد الطنبدى وكان شيخاً جهولاً، سىء السيرة متهافتا على الدرهم، لايحتشم من أخذ البرطيل والرشوة ولا يراعى فى مؤمن إلا ولا ذمة، وقال له: رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يأمرك أن تتقدم لسائر المؤذنين بأن يزيدوا فى كل أذان. . الصلاة والسلام عليك يارسول الله كما يفعل فى ليالى الجمع، فأعجب الجاهل هذا القول، وجهل أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لايأمر بعد وفاته إلا بما يوافق ماشرعه الله على لسانه فى حياته، فقد نهى الله تعالى عن الزيادة فيما شرعه حيث يقول: ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله** ﴾ وفى الحديث «فإن كل محدثة بدعة» الحديث. . وعمت هذه البدعة واستمرت فى مصر والشام، وصارت العامة وأهل الجهالة ترى أن ذلك من جملة الأذان الذى لايحل تركه. . وأدى ذلك إلى أن زاد بعض أهل الإلحاد فى الأذان ببعض القري. . السلام بعد الأذان على شخص من المعتقدين الذين ماتوا. . فإنا لله وإنا إليه راجعون» أ هـ كلام المقريزى ملخصاً.

وبهذا وبعشرات غيره من النصوص نعلم أن كل ما أحدث فى الأذان من الزيادة قبله أو بعده، أو التغنى فيه أو رفع الصوت والتمطيط بدعة مذمومة لأنها أمر محدث، على خلاف الحق والشرع، ومنه زيادة لفظ «سيدنا» لأنه لم يفعله من سبقنا من السلف الصالح، والعبادة مقصورة على الوارد عنه (صلى الله عليه وسلم) فقد عطس رجل بجانب عبد الله بن عمر فقال: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، فقال ابن عمر: الحمد لله

والصلاة والسلام على رسول الله، ماهكذا علمنا رسول الله أن نقول . . إذا عطسنا بل علمنا أن نقول: الحمد لله رب العالمين أ هـ وقال ابن حجر فى فتاويه الكبرى «من صلى على النبى (صلى الله عليه وسلم) قبل الأذان أو قال: محمد رسول الله بعده معتقدا سنيته فى ذلك المحل ينهى ويمنع عنه لأنه تشريع بغير دليل ومن شرع بغير دليل يزجر ويمنع أ هـ .

وليعلم أنا لانمنع الصلاة والسلام على النبى (صلى الله عليه وسلم) عقب الأذان، بل هى سنة وردت أصلا فى المستمع وقياساً فى المؤذن نفسه، ولكننا نمنع الجهر بها، وبالتواشيح معها، وقبل أذان الفجر والجمعة، مما ألحقوه بالأذان حتى عده العامة من جملته، حتى لو تركه مؤذن لشنعوا عليه واتهموه بالزندقة ونقص الأذان .

وفتوى الإمام محمد عبده المشار إليها سابقاً والصادرة فى ٢٢/ ٣/ ١٣٢٢ هـ رقم ٣١١ جـ٣ قد منعت كل هذه البدع وقررت عدم مشروعيتها وإثم فاعلها .

والمعروف أن التثويب هو ترجيع الشهادتين جهراً بعد الإسرار بهما فى الأذان[١] . أو إلحاق شىء آخر به قبله أو بعده أو قبل الجمعة والفجر، ونحن نؤكد أن الأئمة الأربعة والتابعين قبلهم والصحابة مافعلوا ذلك قط، والحق أحق أن يتبع ولو تركه كل الناس . . والباطل أحق أن يجتنب ولو فعله كل الناس .

---

(١) وهو أن ينطق المؤذن بالشهادتين سراً . . ثم يجهر بهما . . وذلك دلالة على مالقى الإسلام والمسلمون فى بداية الدعوة . . حتى كانوا يؤذنون سراً . . فلما انتشر الإسلام وقويت شوكته جهروا به .

(الرؤيا الصالحة)(*)

(الأذان مناما ووحيا)

إن الأذان هو الشعيرة الكبرى التى جاء وحيها مناماً ولا غرو فى هذا فالرؤيا الصالحة شعبة من ست وأربعين شعبة من النبوة .

لحديث النبى (صلى الله عليه وسلم): **رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة** وقوله (صلى الله عليه وسلم): **لم تبق من النبوة إلا المبشرات.. قالوا وما المبشرات ؟ قال: الرؤيا الصالحة ..**[1].

فالوحى والرؤيا صنوان، والوحى يقظة أو مناماً سيان .

فقد رأى إبراهيم عليه السلام أنه يذبح ولده.. إسماعيل.. وقد صدقت رؤياه **﴿ فلما بلغ معه السعى قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين ﴾**[2].

ولقد رأى يوسف عليه السلام رؤياه الصادقة التى جاءت كفلق الصبح :

﴿ إذ قال يوسف لأبيه ياأبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ﴾[3]. **إلى أن قال تبارك وتعالي: ﴿ يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا ﴾**[4].

---

(١) متفق عليه .
(٢) سورة الصافات الآيات ١٠٢ - ١٠٥ .
(٣) سورة يوسف الآية ٤ .
(٤) سورة يوسف الآية ١٠٠ .
(*) لقد ظل النبى (صلى الله عليه وسلم) ستة أشهر قبل الوحى يرى الرؤيا فتأتى كفلق الصبح.. ثم أوحى إليه.. فمكث فى دعوته ثلاثا وعشرين سنة يوحى إليه.. والستة أشهر فى الثلاث وعشرين سنة.. واحد إلى ست وأربعين.. وهذا معنى الحديث: الرؤيا شعبة من ست وأربعين شعبة من النبوة.

ولقد رأى خاتم الأنبياء الرؤيا بالحق والصدق . . وقد كان يرى الرؤيا فتأتى كفلق الصبح . . وشمس النهار . .

﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين، محلقين رءوسكم ومقصرين لاتخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً ﴾[1] .

فلقد أراد الله برؤيا الأذان - هذه الرؤيا التى رآها أصحاب الرسول وليس الرسول ذاته (صلى الله عليه وسلم) صاحب الوحى والرسالة . . أراد الله بها أن يبين للمسلمين فى كل زمان ومكان أنهم فى استطاعتهم أن يظل الوحى فيهم لاينقطع أبدا . . وأن تظل السماء معهم مدداً وسنداً . . فلا تنقطع عن الأرض أبداً، إن هم أخلصوا أعمالهم لله . . وكانت قلوبهم معه . . فيكشف غمهم، ويفرج كربهم، ويصلح بالهم، ويدخلهم الجنة عرفها لهم . .

ولقد سبق الوحى مناماً . . الوحى يقظة . . فقد رأى عبد الله بن زيد وبعض الصحابة رؤيا الأذان . . ثم جاءت بعد ذلك وحياً للرسول (صلى الله عليه وسلم) لتكون تأييداً من السماء للأرض . . وتشريفاً من الله لأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذين صفت سرائرهم . . وسمت نفوسهم . . وارتقت قلوبهم وأرواحهم حتى استشفوا من السماء «نداء الله» للأرض ودعوة الله إلى الناس بزيارته فى بيته خمس مرات كل يوم وليلة، فلقد قرأت أرواحهم الغيب قبل أن ينزل وحياً على خاتم الرسل الكرام، فاستحقوا بذلك رضوان الله وثناء الحق تبارك وتعالى فى قرآن يتلى إلى يوم القيامة . . **﴿ كنتم خير أمه أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾**[2] .

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٧ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

وقال تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً** ﴾[1] .

(الآذان في الأحلام)

قال ابن سيرين . . . شيخ العارفين . ومربي السالكين . . . . نفعنا الله به . . آمين . . . من رأى في المنام أنه يؤذن في مكان معروف . . . وكان من أهل الصلاح . . . . يرزقه الله الحج إلى بيت الله الحرام . . . لقوله تعالي : ﴿ **وأذن في الناس بالحج.. يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق** ﴾[2] .

ومن رأى كأنه يؤذن على منارة . . فإنه يكون داعيا إلى الحق، ويرجى له الحج وزيارة الكعبة المشرفة .

ومن رأى كأنه مؤذن وليس بمؤذن في اليقظة ولى ولاية بقدر مابلغ صوته . . إن كان للولاية أهلاً . . وإن لم يكن للولاية أهلاً فإنه يصيب تجارة رابحة أو حرفة عزيْزة .

ومن رأى كأنه يؤذن في شارع، فإن كان من أهل الخير . . فإنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وإن كان من أهل الفساد فإنه يضرب .

ومن رأى كأنه يؤذن على حائط فإنه يدعو رجلاً إلى الصلح .

(١) سورة الفتح الآية ٢٩ . (٢) سورة الحج الآية ٢٧ .

ومن رأى أنه أذن وأقام فإنه يقيم سنة ويميت بدعة .

ومن رأى أنه أذن على باب سلطان فإنه يقول حقاً .

ومن رأى أنه أذن فى بئر . . فإنه يحث الناس على سفر بعيد .

ومن رأى أنه زاد فى الأذان أو نقص منه أو غير ألفاظه فإنه يظلم الناس بقدر الزيادة والنقصان .

ومن رأى أنه يؤذن فوق بيت فإنه يموت أهله . . فإن أذن فوق الكعبة . . يظهر بدعة والأذان فى جوف الكعبة لايحمد .

ومن أذن فوق بيت جاره فإنه يخون جاره فى أهله .

ومن أذن بين قوم فلم يجيبوه فإنه بين قوم ظالمين لقوله تعالى : **﴿ فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ﴾**[1] .

ومن رأى صبياً يؤذن . . فإنه براءة لوالديه من كذب وبهتان . . لقصة عيسى عليه السلام .

والأذان فى الحمام لايحمد دينا ولادنيا وقيل أنه يقود .

وقيل أن الأذان مفارقة شريك لقوله تعالي : **﴿ وأذان من الله ورسوله إلي الناس يوم الحج الأكبر.. أن الله بريء من المشركين ورسوله ﴾**[2] .

ومن كان محبوساً فرأى كأنه يؤذن فإنه يطلق سراحه إنشاء الله[3] .

ومن أذن وأقام الصلاة فإنه يقوم له أمر رفيع يحسن الثناء عليه فيه .

---

(١) سورة الأعراف الآية ٤٤ .
(٢) سورة التوبة الآية ٣ .
(٣) تفسير ابن كثير والنابلسى .

ومن رأى كأنه يؤذن على سبيل اللهو واللعب سلب عقله لقوله تعالي: ﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً ذلك بأنهم قوم لايعقلون﴾[1].

وحكى عن «دانيال الصغير» أنه قال من رأى كأنه أذن وأقام وصلى فقد تم عمله.. ومن سمع أذانا فى السوق فإنه موت رجل من أهل تلك السوق..

ومن أذن فى قافلة أو فى جماعة أو فى موكب.. وكان من أهل الفساد.. فإنه يسرق لقوله تعالي: ﴿ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون﴾[2].

ومن سمع أذاناً يكرهه فإنه ينادى عليه فى مكروه.

ومن رأى أنه يؤذن على المئذنة فإنه علو قدر ورفعة.. وكذلك الأذان فى المسجد فإنه دعوة إلى طاعة الله تعالى.

ومن رأى أنه يؤذن فى محراب.. فإنه يدل على السفر والرجوع بالسلامة وحصول المراد.

ومن رأى أنه يسمع الأذان فإنه يكون كسلانا فى الصلاة.

ومن رأى أنه يسمع صوت الإقامة فإنه يدل على التوفيق لفعل الخير.. وقيل من رأى أنه يؤذن ويقيم الصلاة، وقوم مجتمعون لايأتون الصلاة.. فإنه يدعو قوماً للحق فيأبون ويكونون ظالمين.

ومن رأى أنه يؤذن على سطح، فإنه شهرة بسبب امرأة، وعاقبته فى ذلك إلى خير.

ومن رأى أنه يؤذن على ظهر دابة فهو سفر.

ومن رأى أنه يؤذن فى سفر فإنه يدل على تسهيل الأمور.

---

(١) سورة المائدة الآية ٥٨.

(٢) سورة يوسف الآية ٧٠.

ومن رأى أنه يكبر فى الأعياد فإنه يعظم شعائر الله ولابأس بهذه الرؤيا .

وقال جعفر الصادق (رضى الله تعالى عنه) :

رؤيا الأذان تؤول على إثنى عشر وجهاً :

حج - قول حق - أمر - قدر - رياسة- سفر - موت - دفع إفلاس - خيانة - تجسس - قلة دين - نفاق

ولقد جاء رجل إلى ابن سيرين (رضى الله عنه وأرضاه) وهو جالس فى مجلسه المهيب بين تلاميذه ومريديه فقال: ياابن سيرين . . رأيت كأنى أؤذن فنظر إليه ابن سيرين (رضى الله عنه) وقال: تحج هذا العام . . ثم جاء رجل آخر بعد قليل وقال: ياابن سيرين . . . رأيت أنى أؤذن فقال (رضى الله عنه) تسرق وتقطع يدك . . فتعجب التلاميذ والمريدون وسألوا الإمام ابن سيرين عن سبب اختلاف التأويلين مع أن الرؤيا واحدة . .

فقال الإمام الهمام ابن سيرين: نظرت فى وجه الأول فوجدت عليه سيما الصالحين فأولتها بقوله تعالي: **﴿ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾**[1]. ونظرت فى وجه الثانى فوجدت عليه سيما الطالحين فأولتها بقوله تعالي: **﴿ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون﴾**[2].

(هل بعث محمد من جديد)

وكان بلال بن رباح (رضى الله عنه) مؤذن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد عزم ألا يؤذن لأحد بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وترك

(١) سورة الحج الآية ٢٧ .   (٢) سورة يوسف الآية ٧٠ .

المدينة . . واستقر بالعراق فترة من الزمن . . إلى أن جاءه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى المنام . . فقال له :

ماهذه الجفوة يابلال . . ألا تزورنى ؟!

فقام بلال من نومه مذعوراً يبكي . . وركب دابته إلى المدينة المنورة . . وكله شوق إلى بلد الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) .

ووقف بلال (رضى الله عنه) أمام قبر النبى (صلى الله عليه وسلم) كما يقف فى الصلاة . . خاشعاً متبتلاً . . يتنسم النسمة الطاهرة . . ويسترجع الذكرى العاطرة . . سابحا فى بحر من الأشواق . . ينشد الأحبة . . محمداً وصحبه . .

وبينما هو كذلك فى حديقة العطر . . وبستان الإيمان . . إذ تطوف حوله ريحانتان كان يشمهما النبى (صلى الله عليه وسلم) فى الدنيا . . الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة . . يحتضنانه ويقبلانه ويبكيان . . فلم يتمالك بلال نفسه عندما رآهما فبكى وانفطر . . وانكب على قبر النبى (صلى الله عليه وسلم) يذرف الدمع والأنين والشوق والحنين فدنا منه الحسن والحسين يناشدانه بالله أن يسمعهما صوته . . وأن يؤذن كما كان يؤذن أيام النبى (صلى الله عليه وسلم) فلم يجد بلال بدأ من الاستجابة لهما . . والرجوع فيما عزم عليه من قبل . . ألا يؤذن لأحد بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد وجد فى الحسن والحسين صورة جدهما محمد (صلى الله عليه وسلم) فمن أراد أن ينظر إلى النبى (صلى الله عليه وسلم) فلينظر إلى الحسن والحسين .

وتقدم بلال يجر خطاه . . وصعد فوق سطح المسجد النبوي . . كما كان يفعل أيام النبى (صلى الله عليه وسلم) وأذن :

الله أكبر . . الله أكبر . . فارتجت المدينة .

فلما قال :

أشهد أن لا إله إلا الله ! ! ضجت المدينة عن آخرها .

فلما قال :

أشهد أن محمداً رسول الله ! ! خرجت المدينة على بكرة أبيها . . مرتجفة . . خاشعة . . وكأنه يوم الحشر الأكبر والناس يتساءلون .

هل بعث محمد (صلى الله عليه وسلم) من جديد ! !

فقد أهاج بلال (رضى الله عنه) الذكرى العظيمة . . وحرك الأشجان القديمة . . والناس بين باك وخاشع وراكع وساجد .

وكيف لا ؟

وقد أعاد إليهم صوتاً من الجنة . . ارتبط عطاؤه بالحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) الذى اتصلت أنواره بالفردوس الأعلي . . والنور المقدس . . بالذات العلية . . والروح القدس . . والأرواح القدسية . . بالأنوار اللدنية . .



المراجـــع

١- القرآن الكريم .

٢- المعجم المفهرس .

٣- تفسير القرآن العظيم (لابن كثير) .

٤- تفسير فى ظلال القرآن (للشهيد سيد قطب) .

٥- تفسير القرطبى .

٦- تفسير الجلالين .

٧- تفسير أبى السعود .

٨- تفسير المنار (للشيخ رشيد رضا) .

٩- صفوة التفاسير (للشيخ محمد على الصابونى)

١٠- تفسير الطبرى .

١١- فتح البارى شرح صحيح البخارى .

١٢- صحيح مسلم .

١٣- مسند الإمام أحمد .

١٤ - سنن أبى داود .

١٥- زاد المعاد (لابن القيم) .

١٦- الترغيب والترهيب (للمنذرى) .

١٧- الدين الخالص (محمود خطاب السبكى) .
١٨- فقه السيرة (للبوطى) .
١٩- فقه السنة (سيد سابق) .
٢٠- الفقه على المذاهب الأربعة .
٢١- إحياء علوم الدين (للغزالى) .
٢٢- مقدمة ابن خلدون .
٢٣- أحكام القرآن (لابن العربى) .
٢٤- لسان العرب (لابن منظور) .
٢٥- مختار الصحاح (للرازى) .
٢٦- المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية) .
٢٧- مفردات القرآن (للأصفهانى) .
٢٨- البداية والنهاية (لابن كثير) .
٢٩- الأحاديث القدسية (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) .
٣٠- رياض الصالحين (للنووى) .
٣١- الموطأ (للإمام مالك) .
٣٢- الدر المنثور (للسيوطى) .
٣٣- الدرارى المضيئة (للشوكانى) .
٣٤- فضائل القرآن (لابن كثير) .
٣٥- روح المعانى (للألوسى) .

٣٦- الروح (لابن القيم).

٣٧- الأذكار (للنووى).

٣٨- الجواب الكافى (لابن قيم الجوزية).

٣٩- صيد الخاطر (لابن الجوزى).

٤٠- غاية الحكيم (لمسلمة بن أحمد).

٤١- مكاشفة القلوب (للغزالى).

٤٢- مفتاح السعادة (لابن القيم).

٤٣- الطب النبوى (لابن القيم).

٤٤- خزانة الأدب (للبغدادى).

٤٥- من وصايا القرآن (دار التراث العربى).

٤٦- تفسير الأحلام (لابن سيرين).

٤٧- فى رحمة الله (للمؤلف).

٤٨- حديقة الأولياء (للمؤلف).

٤٩- لآلئ ودرر من عدالة عمر (للمؤلف).

٥٠- لؤلؤ ومرجان (للمؤلف).



الفهرس



دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع

٨ ش أبو المعالى (العجوزة) الجيزة - ت/ فاكس: ٣٤٧٣٦٩١

١ ش سوهاج من ش الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم - جيزة
تليفون وفاكس ٥٦٣٤٦٩٩